

احلام فترة النقاهة

نجيب محفوظ

حلم 1

أسوق دراجتى من ناحية إلى أخرى مدفوعاً بالجوع باحثاً عن مطعم مناسب لذوى الدخل المحدود، ودائماً أجدها مغلقة الأبواب، وحانت منى الفتاة إلى ساعة الميدان فرأيت أسفلها صديقى، فدعاني بإشارة من يده فملت بدراجتى نحوه وإذا به على علم بحالى فاقترح على أن أترك دراجتى معه ليسهل على البحث، فنفذت اقتراحه وواصلت البحث وجوعى يشتد، وصادفنى فى طريقى مطعم العائلات، فبدافع من الجوع واليأس اتجهت نحوه على الرغم من علمى بارتفاع أسعاره، ورأى صاحبه وهو يقف فى مدخله أمام ستارة مسدلة، فما كان منه إلا أن ازاح الستارة فبدت خرابة ملأى بالنفايات فى وضع البهو الفخم المعد للطعام، فقلت بانزعاج:

- ماذا جرى؟

فقال الرجل:

- أسرع إلى كبابجى الشباب لعلك تدركه قبل أن يشطب، ولم اضيع وقتاً فرجعت الى ساعة الميدان، ولكننى لم أجد الدراجة أو الصديق.

حلم 2

دخلنا الشقة الفتاة فى المقدمة وأنا فى أثرها والبواب يتبعنا حاملاً الحقيبة، الفتاة على صلة بى مؤكدة وكأنها غير محددة. تركنا ترتيب الأشياء ودلفنا إلى الشرفة المطلّة على البحر سابحاً فى آفاقه غير المحدودة منتعشاً بهوائه الرطيب منتشياً بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهرعت نحوها فرأيت الفتاة منكشمة مذعورة والنار تشتعل فى أعلى الباب وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده انطفأت النار وتحول ذاهباً وهو يقول:

- ربما انقطعت المياه بعض الوقت.

وغمرنى الارتياح فلم أبال بشئ.

غادرت الحجرة قاصداً السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب. ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحاً والبواب واقفاً قد دخلت إلى الحجرة قلقاً فوجدتها عارية إلا من بقعة منتفخة بالملابس ملقاة على الأرض وذراع بيجامتى يتدلى من فتحة فى رابطتها ولا أثر للفتاة فسألت:

- ماذا جرى؟

فأجابني الجواب:

- حضرتك أخطأت الطريق وهذه ليست شقتك فأشرت إلى ذراع البيجاما وقلت:

- هذه بيجامتي.

فقال الرجل بهدوء:

- يوجد من نوعها آلاف في السوق.

وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة في صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفي الطريق رأيت الفتاة في طرفه المفضي إلى ميدان مكتظ بالمسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب في الزحام.

حلم 3

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة:

- متى ينتهي هذا العذاب؟

وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر في ذهول.

وتساءل صوت:

- من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة:

- أنا الفاعل.

- لماذا؟

- هو العقاب الذي أستحقه.

- عن أي ذنب؟

فصاح بغضب:

- الجهل.

فقلت له:

- عهدنا بك ذو حلم وخبرة.

- جهلنا أن الغضب استعداد في كل فرد.

وارتفع صوته وهو يقول:

- وجهلت أن أي أنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يهن شأنه.

وعلمنا الحزن والصمت.

حلم 4

بهو مترامي الأركان متعدد الأبواب خال من كل شيء فوق ثلاثتنا في ركن مكنون، صاحباي يرفلان في كامل حليتهما حتى رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربي ودون شعور بأي حرج لشدة الألفة التي تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت رجلا لا أدري من أين جاء في ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون على الحفلات تلففت في جلبابي وقلت لصاحباي:

- أخاف أن تقام حفلة!

فقالا بالتتابع:

- لا أظن.

- لا أهمية لذلك.

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين مائتين للأول قد انضموا إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأني وجدت وراءه سداً من جدار البهو فكررت المحاولة مع الأبواب جميعا وخاب مسعاي كالمرّة الأولى رجعت إلى صاحباي واندست بينهما كأنما أستتر بهما.

وطمأننى بعض الشيء أن الرجال الثلاثة لم يعيرونا أي التفات.

وتتابع الحركات وانهمر سيل من المدعوين من كافة النواحي.

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين أبصارهم في ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم وبدأ فجأة شخص جليل في هيئة الزعامة فتعالت قعقات الهتاف. وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه في الوقت نفسه من السير نحو الباب الذي بدا أنه يقصده وقلت لصاحبي:

- سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه.

وتقدم الزعيم وسط هتاف متصاعد وتحذير مستمر حتى فتح الباب ودخل مختفيا عن الأنظار.

حلم 5

أسير على غير هدى وبلا هدف، ولكن صادفتني مفاجأة لم تخطر لي في خاطري فصرت كلما وضعت قدمي في شارع انقلب الشارع سيركا.

اختفت جدرانها وأبنيتها وسياراته والمارة وحل محل ذلك قبة هائلة بمقاعد المتدرجة، وحبالها الممدودة، وأراجيحها، وأقفاص حيواناتها، والممثلون والمبتكرون والرياضيون حتى البلياتشو، وشد ما دهشت وسررت وكدت أطيّر من الفرع، ولكن بالانتقال من شارع إلى شارع، وبتكرار المعجزة، مضى السرور يفتر، والضجر يزحف حتى ضقت بالمشي والرؤية وتاقت نفسي للرجوع إلى مسكني.

ولكم فرحت حين لاح وجه الدنيا وأمنت بمجئ الفرع. وفتحت الباب فإذا بالبلياتشو يستقبلني مقهقها.

حلم 6

رن جرس التليفون وقال المتكلم:

- الشيخ محرم أستاذك يتكلم.

فقلت بأدب وإجلال:

- أهلا أستاذي وسهلا.

- إني قادم لزيارتك.

- على الرحب والسعة.

لم تمسني أية دهشة، على الرغم من أنني شاركت في تشييع جنازته منذ حوالي ستين عاما، وتتابعني على ذكريات لا تنسى عن أستاذي القديم في اللغة في معاملة التلاميذ، وجاء الشيخ بجبته وققطانه الزاهيين وعمته المقلوطة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء، ومن حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التي كنت ألقيا عليكم تحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات في الورقة وجئت بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب.

حلم 7

ياله من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات وقفت على طوار المحطة أنتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب المغيب، أريد العودة إلى بيتي على الرغم من أنه لا ينتظرني أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام 3، وخفت حركة الميدان وقلّ مرور السابلة، حتى كنت أترك وحيدا في المحطة في ميدان خال أنتظر تراما لا يجي، وسمعت صوتا خفيضا فنظرت فرأيت على مبعده يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعوري بالوحشة واليأس وسألتني:

- أليست محطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت في مغادرة المحطة وإذا بالترام رقم 3 يقترب في هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر وشئ من داخلي دعاني إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهري، ولبثت على حالي حتى غادر الترام المحطة، ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعيني ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف، فتبعتها على الأثر.

حلم 8

عندما أقبلت على مسكني وجدت الباب مفتوحا على ضلفتيه على غير عادة وجاءتني من الداخل ضوضاء وأصدااء كلام.

دق قلبي متوقعا شراء، ورأيت من أحبابي ابتسامات مشفقة، وسرعان ما عرفت كل شئ، خلت الشقة من الأثاث الذي كوم في ناحية داخل المكان. عمال من متفاوتي الأعمار، منهم من دهن الجدران ومنهم من يعجن المونة ومنهم من يحمل المياه. وهكذا نفذت المكيدة في أثناء غيابي وذهبت توسلاتي في الهواء.

وهل أطيق هذا الانقلاب و أنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال: من أذن لكم بذلك، ولكنهم استمروا في عملهم دون أن يعيروني أى اهتمام، وقهرني الغضب فغادرت الشقة وأنا أشعر بأنني لن أرجع إليها مدى عمري، وعند مدخل العمارة رأيت أُمي مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت مستاءة، وغاضبة، وقالت لي:

- أنت السبب فيما حصل!

فتأر غضبي وصحت:

- بل أنت السبب فيما حصل وما سوف يحصل.

وسرعان ما اختفت، ومضيتُ في الهرب.

حلم 9

على اريكة في حديقة المنزل الصغيرة جلست أختي تتأمل ضفدعا يسبح في القناة التي تروى الحديقة؛ وانتشيت بالنسيم الرقيق وعناقيد العنب المدلاة من التكعيبية.

وسألت أختي ماذا تنتظرين؟

وقبل أن تجيبني قلت: من الأفضل أن نجلس في الحجرة لنسمع الفونوغراف وتبادلنا نظرة اختيار، ثم انتقلنا إلى الحجرة وازداد الجو صمتاً، وحتى النسيم لم يعد معنا ونظرت إلى أختي، فإذا بها قد تحولت إلى الممثلة السينمائية جريتا جاربو، وهي ممثّلي المفضلة وطرت من السعادة بغير أجنحة وملا السرور جوانحي غير أن ذلك السحر لم يدم طويلاً. وأردت أن أستعيد المعجزة السحرية مرة أخرى ولكن أختي رفضت الذهاب معي، فسألتها عن سبب الرفض فقالت:

- أُمي.

فقاطعتها قبل أن تتم عبارتها:

- إنها لا تدري.

فقلت بيقين:

- إنها تدري كل شيء.

وشعرت بأن الحزن غشى كل شيء كأنه شابورة مفاجئة.

حلم 10

جمعتنا الصداقة والنشأة وتواعدنا في تلك الحارة وذيول الليل تهبط. لا هدف لنا إلا الانشراح باللقاء والاستسلام للمزاح والضحك على طريقة القافية.

وتبادلنا النكات وأخذنا نتحول إلى أشباح في الظلام، وتعارفنا بأصواتنا ولم نكف عن المزاح والقافية وانطلقت قهقهاتنا ترج الجدران وتوقظ النيام. الحارة متعرجة، ونحن نتقارب حتى لا ندوب في الظلمة، وكلما تمادينا في الحيرة غالينا في الضحك، وبدأنا نتساءل حتى نجد خلاصنا في ميدان أو شارع كبير.

وذكرنا أهدنا بأن الملكة الفرعونية التي أرادت الانتقام من الكهنة الذين قتلوا زوجها دعته إلى مكان يشبه هذا الذي يغطون فيه، وسلطت عليهم المياه، وما كاد يفرغ من حكايته حتى هطلت السماء علينا بقوة غير معهودة، وأسكتنا الرعد ومضت المياه ترتفع حتى غطت أقدامنا وزحفت على سيقاننا وشعرنا بأننا نغرق تحت المطر، في ظلام الليل.

ونسينا نكاتنا وضحكاتنا ولم يعد لنا من أمل في الخلاص إلا أن نطير في الفضاء.

حلم 11

في ظل نخلة على الشاطئ استلقت على ظهرها امرأة فارعة الطول ريانة الجسد وكشفت عن صدرها ونادت. يزحف نحوها أطفال لا يحصرهم العدد. وتزاحموا على ثدييها ورضعوا بشراسة غير معهودة، وكلما انتهت جماعة أقبلت أخرى وبدأ أن الأمر أفلت زمامه وتمرد على كل تنظيم. وخيل إلى أن الحال تقتضي التنبيه أو الاستغاثة ولكن الناس يغطون في النوم على شاطئ النيل. وحاولت النداء ولكن الصوت لم يخرج من فمي وأطبق على صدري ضيق شديد. أما الأطفال والمرأة فقد تركوها جلدة على عظم ولما يسوا من مزيد من اللبن راحوا ينهشون اللحم حتى تحولت بينهم إلى هيكل عظمي. وشعرت بأنه كان يجب على أن أفعل شيئاً أن أكثر من النداء الذي لم يخرج من فمي وأذهلني أن الأطفال بعد يأس من اللبن واللحم التحموا في معركة وحشية فسالت دماؤهم وتخرقت لحومهم. ولمحني بعض منهم فأقبلوا نحوي أنا لعمل المستحيل في رحاب الرعب الشامل.

حلم 12

في الجو شيء مثير للأعصاب، فهو من عدة نواح تبرز رؤوس وتختفي بسرعة. وجرت شائعة مثل الشهاب تنذر بوقوع الحرب. وترددت كلمة الحرب على الألسنة، وعمت الحيرة والانزعاج ورأيت من يحمل تمويناً لتخزينه. وجعلت أتذكر تلك الأيام المكدرية، هل نبقى أم نهاجر؟ ولكن إلى أين؟ ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر وجاء رجل من الأمن وقال صراحة إن الدولة تريد أن تعرف طاقة الأسر على إيواء من يحتاجون إلى إيواء لاسمح الله. وتضاعف الاضطراب وأعلنت أمي وهي تعيش وحدها في بيت كبير أنها على استعداد لإيواء أسرة كاملة، أما أنا فوجدت أننا يمكن الاستغناء عن حجرة واحدة تسع لشخصين، وأصبحت حذراً عند سماع أي صوت أو الإجابة على أي سؤال، وطرق بابي مخبر ودعاني إلى القسم ولما سألته عن سبب الاستدعاء أجاب بخشونة: إنه لا يعرف وقطع حديثنا انطلاق صفارة الإنذار.

حلم 13

هذا هو المطار. جوه يموج بشتى الأصوات واللغات. وكن قد فرغن من جميع الاجراءات ووقفن ينتظرن. اقتربت منهن وقدمت إلى كل منهن وردة في قرطاس فضي، وقلت:

- مع السلامة والدعاء بالتوفيق.

فشكرنني باسمات وقالت إحداهن:

- إنها بعثة شاقة ونجاحنا يحتاج إلى أعوام وأعوام.

فأدركت ما تعنى، وغمر الألم قلبي وتبادلنا نظرات وداع صامتة ولاحت لأعيننا مسرات الزمان الأول.

وتحركت الطائرة وجعلت أتابعها بعيني حتى غيبها الأفق.

وحال عودتي الى بهو المطار لم أعد أذكر إلا رغبتى فى الاهتداء إلى مكتب البريد، وكأننى ماجئت إلا لهذا الغرض وحده. وسمعت صوتاً يهمس أنت تريد مكتب البريد؟ فنظرت نحوه ذاهلاً فرأيت فتاة لم أرها من قبل فسألتها عن هويتها فقالت بجرأة:

- أنا بنت ريا. لعلك مازلت تذكر ريا وسكينة؟

فقلت وذهولى يشتد:

- إنها ذكرى مرعبة.

فرفعت منكبيها وسارت وهى تقول:

- إن كنت تريد مكتب البريد فاتبعنى.

فتبعتها بعد تردد غاية فى العنف.

حلم 14

تريضت على الشاطئ الأخضر للنيل. الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء. هامت روى حول أركان العباسية المقعمة بالياسمين والحب. ووجدت نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر. لماذا لم تزرني فى المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت؟ على الأقل لأتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة. وهل الصورة التى طبعت فى خيالى هى الصورة الحقيقية للأصل؟

وإذا بصوت موسيقى يتراعى إلى من ناحية الشارع المظلم. صارت أشباحاً ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها فى طريقها أدهشنى أنها لم تكن غريبة على، هى الموسيقى النحاسية التى كثيراً ما استمعت إليها فى صباى ورأيتها تتقدم بعض الجنازات، وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظاً، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهى أن حبيبتي الراحلة تسير وراء الفرقة. هى هى بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملاحها الأنيقة، أخيراً تكرمت بزيارتي وتركزت الفرقة الجنازوية تسير ووقفت قبالتى لتؤكد لى أن العمر لم يضع هدراً، وقمت واقفاً منبهراً وتطلعت إليها بكل قوة روى. وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعي ولكني سمعت طقطقة شيء يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ. وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياي في حسرة أبدية.

حلم 15

بهو رُصّت على جوانبه المكاتب. إنه مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية والموظفون بين السكون وراء مكاتبهم أو الحركة بين المكاتب.

وهم خليط من الجنسين والتعاون في العمل واضح والغزل الخفيف غير خاف. وأنا فيما بدا من الموظفين الجدد ومرتبتي على قد حاله وشعوري بذلك عميق، ولكنه لم يمنعني من طلب يد فتاة جميلة وهي كموظفة أقدم وأعلى. والحق أنها شكرتني ولكنها اعتذرت عن عدم الاستجابة لطلبي قائلة:

- لا نملك ما يهيئ لنا حياة سعيدة.

وتلقيت بذلك طعنة نفذت إلى صميم وجداني.

ومن يومها تحسبت مفاتحة أي زميلة في هذا الشأن على الرغم من إعجابي بأكثر من واحدة. وعانيت مر المعاناة من العزلة والكآبة. وألحقت بالخدمة فتاة جديدة فوجدت نفسي في مكانة أعلى لأول مرة. فأنا مراجع وهي كاتبة على الآلة الكاتبة. ومرتبتي ضعف مرتبها إلا أنها لم تكن جميلة بل الأدهى من ذلك أني سمعت همساً يدور حول سلوكها، وبدافع من اليأس قررت الخروج من عزلتي فداعتها فإذا بها تداعبنى ومن شدة فرحي ففقت وعيى وطلبت يدها، وقالت لي:

- آسفة!

فلم أصدق أذني وقلت وأنا أتهاوى:

- مرتبتي لا بأس به بالإضافة إلى مرتبك.

فقلت بجدية:

- المال لا يهمني.

وهممت أن أسألها عما يهمها حقاً ولكنها ذهبت قبل أن أنطق.

حلم 16

هنأتى الطبيب المساعد على نجاح العملية. عقب إفاقتى من التخدير أشعر بارتياح عميق وبسعادة النجاة الصافية. دخلت الحجرة فجاءت الممرضة بكبرى وجلست مقربة برأسها من رأسى. تأملتني ملياً ثم قالت لى بهدوء شديد:

- طالما كانت أمنيّتي أن أراك راقداً بلا حول ولا قوة!

قالت باحتقار وحقذ:

- جاء وقت الانتقام.

وقامت وغادرت الحجرة تاركة إياى فى دوامة من الحيرة والقلق والخوف، كيف تتصور تلك المرأة أننى أسأت إليها على حين أننى أراها لأول مرة فى حياتى، وجاء الطبيب الجراح ليلقى على نظرة فتشبتت به قائلاً:

- أدركنى يا دكتور فإن حياتى فى خطر!

فأصغى إلىّ وأنا أقص عليه ما جرى. وأمر بعرض الممرضات المكلفات بالخدمة فى العنبر على ولكنى لم أعثر على الممرضة بينهم.

وغادرنى الدكتور وهو يقول:

- أنت هنا فى كامل الرعاية!

ولكن صورة الممرضة لم تفارقنى.

ولم تغب عنى الوسوس.

وكل من دخل الحجرة نظر إلىّ بغرابة كأننى أصبحت موضع تساؤل وشك. وتراءى أمام عيني طريق طويل مليء بالمقاعب.

حلم 17

تواصلت أحياء الجمالية والعباسية وأنا أسير وكأننى أسير فى مكان واحد. وخيل إلىّ أن شخصاً يتبعنى، فالتفت خلفى ولكن الأمطار هطلت بقوة لم نشهدها منذ سنين ورجعت إلى مسكنى مهرولاً. وشرعت أخلع ملابسى ولكن شعوراً غريباً اجتاحنى بأن شخصاً غريباً مختف فى المسكن، واستفزنى استهتاره، فصحت به أن يسلم نفسه وفتح باب حجرة الاستقبال، وبرز رجل لم أر مثيلاً فى مساحته وقوته وقال بهدوء وسخرية: سلم أنت نفسك.

وملكنى إحساس بالعجز والخوف وأيقنت أن ضربة واحدة من يده كفيلة بسحقي تماماً أما هو فأمرني بتسليمه
محفظتي ومعطفي وكان المعطف يهمني أكثر ولكنى لم أتردد إلا قليلاً وسلمته المعطف والمحفظة. ودفعني
فألقاني أرضاً. ولما قمت كان قد اختفى وتساءلت هل أناذى وأستغيث.

ولكن ما حدث مهين ومخجل وسيجعلنى نادرة ونكتة فلم أفعل.

وفكرت فى الذهاب إلى القسم ولكن ضابط المباحث كان من أصحابى وستذاع الفضيحة بطريقة أو بأخرى.

وقررت الصمت ولكنى لم أسلم من الوسوس.

وخفت أن أقابل اللص فى مكان ما وهو يسير هائناً بمعطفي، ونقودى.

حلم 18

وتم مجلسنا على الجانبين فى القارب البخارى، بدا كل واحد وحده لا علاقة له بالآخرين، وجاء الملاح ودار
الموتور. الملاح فتاة جميلة، ارتعش لمراها قلبى. أطلقت من الناقة وأنا واقف تحت الشجرة وكان الوقت بين
الصبا ومطلع الشباب، وركزت عيني رأسى فى رأسها النبيل وهى تمرق بنا فى النهر، وتتناغم خفقات قلبى
مع دفقات النسيم وفكرت أن أسير إليها لأرى كيف يكون استقبالها لى.

لكنى وجدت نفسى فى شارع شعبى لعله الغورية وهو مكتظ بالخلق فى مولد الحسين ولمحتها تشق طريقها
بصعوبة عند إحدى المنعطفات فصمت على اللهاق بها.

وحيا فريق من المنشدين الحسين الشهيد.

وسرعان ما رجعت الى مجلسى فى القارب وكان قد توغل فى النهر شوطاً طويلاً. ونظرت إلى مكان القيادة
فرأيت ملاحاً عجوزاً متجههم الوجه. ونظرت حولى لأسأل عن الجميلة الغائبة ولكنى لم أر إلا مقاعد خالية.

وقمت لأسأل العجوز عن الجميلة الغائبة.

حلم 19

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها، ففحصت كل موضع بنظراتى، امتلأت جوانحي بالسعادة وقلت لنفسي
من الآن يحق لى أن أشغل وظيفة، وعلى أن أسعى إليها دون تأخير.

وذهبت الى السوق، المكان واسع المساحة، مسور بسور من البناء المتين، وأظهرت أوراق ملكية الشقة
فسمحوا لى بالدخول.

المكان مكتظ بالخلق، لمحت وجوها أحببتها كثيراً ولكنهن جميعاً كن متأبطات أذرع رجالهن، وذهبت إلى النافذة المقصودة وقدمت أوراقى وفى مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة، وفحصها الرجل وسجلها وقال لى: لا توجد الآن وظائف خالية، وسوف نتصل بك، فى الوقت المناسب.

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأننى سأنتظر طويلاً ورجعت مخترباً الجموع ومتأملاً بعجلة الوجوه الجميلة التى أحببتها فى الماضى، ولبثت فى الشقة وحدى، وفى الطريق سمعت رجلاً يقول بصوت جهير: لا معنى لأن يملك شخص شقة دون أن يشغل وظيفة. الأولى أن يتركها لغيره ممن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة. وكأنه يعينى بقوله، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع.

وساورنى الشك والهم، وانتظرت ما يخبئه الغد بعين قلقة مؤرقة.

حلم 20

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضى فيه بعض الوقت. ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت على ضوء المصباح رجلاً عملاقاً لم تر العين مثله أرسل عموداً لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه. وراح بحركة ماهرة بفرد طيات نوره حتى استوى بديراً وسمعنا أصوات تهليل فهللنا معها وقلت إنه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدقت على قولى، وانساب النور على الكون رفعتنى على سطح الماء فهتفت: ليلة قمرية. فقلت: القارب يدعونا. وركبنا ونحن فى غاية السرور، وغنى الملاح: رايداك والنبى رايداك. واسكرنا الفرح فاقترحت أن نسبح حول القارب وخلعنا ملابسنا ووثبنا إلى الماء وسبحنا ونحن فى غاية الامتنان ولكن القمر تراجع فجأة إلى الهلال واختفى الهلال. انزعجنا انزعاجاً لم نعرف مثله من قبل، ولكننى شعرت بأنه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان فى الظلام: لنسبح نحو القارب. فقالت: وإذا ضللتنا الطريق؟ فقلت: نستطيع أن نسبح حتى الشاطئ. فقالت: سنكون عاريين على الشاطئ. فقلت: فليؤجل التفكير فى ذلك.

حلم 21

الشارع الجانبى لا يخلو من مارة وأناس فى الشرفات، والسيدة تسير على مهل وتقف أحياناً أمام معارض الأزياء.

يتعرض لها أربعة شبان دون العشرين، تتجههم فى وجوههم وتتبعدهم عن طريقهم، ينقضون عليها ويعبثون بها، تقاوم والناس تتفرج دون أى مبادرة. الشبان يمزقون ثوبها ويعرون أجزاء من جسدها. السيدة تصوت مستغيثة، راقبت ما حدث فتوقفت عن السير وملكنى الارتياح والاشمئزاز ووددت أن أفعل شيئاً أو أن يفعله غيرى ولكن لم يحدث شئ، وبعد أن تمت المأساة وفر الجناة. جاءت الشرطة. وتغير المكان فوجدت نفسى مع آخرين أمام مكتب الضابط، واتفقت أقوالنا، ولما سئلنا عما فعلناه كان الجواب بالسلب. وشعرت بخجل وقهر، وكانت يدى ترتجف وهى توقع بالإمضاء على المحضر.

حلم 22

كنا في حجرة المكتب مشغولين ونظر إلى وجهي وقال: إنك مشغول البال، فقلت له بإيجاز وإعياء: الدواء. فقال أفهم ذلك وأقدره وأحمد الله الذي نجاني من مخالفته، فسألته كيف نجا مما لا نجاة منه؟ فقال: لي صديق له أخ صيدلي فلما عرف شكواي أكد لي أنه يملك الحل. وعرف مني الأدوية اللازمة لي ولأسرتي شهريا وعرضها على أخيه الصيدلي فجاءنا بمثل لها بأقل من عشر الثمن.

فسألته عن مدى الخطورة في العملية فطمأنني وحدثني طويلا عن أساليب شركات الأدوية حتى أذهلني وأزعجني، ولم أتردد فكتبت له قائمة بالأدوية اللازمة لي شهريا وأنا أشعر بارتياح عميق. وإذا به يقول لي: ولكني أريد منك خدمة في مقابل ذلك فأبديت استعدادي لأداء ما يطلب. فقال: أنا يزعجني الهجوم على الروتين الحكومي والبيروقراطية، وتأثر الحكومة بما يقال وبما يكتب، وأريد منك أن تكرر قلمك للدفاع عن الروتين والبيروقراطية. فدهشت وسألته عن سر حماسه لما أجمع الناس على نقده ورفضه فقال غاضبا: يا أخي ما قيمة الموظف أمام الجمهور من غير الروتين والبيروقراطية.

ودار رأسي حيرة بين الأدوية والروتين.

حلم 23

أسير في الشارع وأنا على بينة من كل مكان فيه، فهو عملي ونزهتي، وأصحابي وأحبائي، أحبي هذا وأصافح ذاك، غير أنني لاحظت أن رجلا يتعداني بمسافة غير طويلة وغير قصيرة، وبين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما ليطمئن إلى أنني أتقدم وراءه. لعلني لم أكن أراه لأول مرة، ولكن على وجه اليقين لا تربطني به معرفة أو مودة، وضايقتني أمره فاستفزني إلى التحدي. أوسعت الخطى فأوسع خطاه، أدركت أنه يبيت أمرا فازددت تحديا، ولكن دعاني صديق إلى شأن من شئوننا فملت إلى دكانه وانهمكت في الحديث فنسيت الرجل وأنهيت مهمتي بعد الأصيل فودعته ومضيت في طريق سكني، وتذكرت الرجل، فالتفت خلفي فرأيت يتبعني على نفس طبيعته. تملكني الانفعال، وكان بوسعي أن أقف لأرى ماذا يفعل ولكني بالعكس وجدت نفسي أسرع وكأني أهرب منه، وأخذ يساورني القلق وأتساهل عما يريد. ولما لاح لي مسكني شعرت بالارتياح وفتحته ودخلت دون أن أنظر خلفي، ووجدت البيت خاليا فاتجهت نحو غرفة نومي ولكني توقفت بإزاء شعور غريب يوحي إلي بأن الرجل في داخل الحجرة.

حلم 24

قررت إصلاح شفتي بالإسكندرية بعد غياب ليس بالقصير، وجاء العمال وفي مقدمتهم المعلم وبدأ العمل بنشاط ملحوظ، وحانت مني التفاتة إلى شاب منهم فشعرت بأنني لا أراه لأول مرة، وسرت في جسدي قشعريرة عندما تذكرت أنني رأيته يوما في شارع جانبي يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار، ولكني لم أكن على يقين وسألت المعلم عن مدى ثقته بالشاب دون أن أشعر الشاب بذلك فقال لي المعلم:

- إنه مضمون كالجنيه الذهب، فهو ابني وتربية يدي، واستقر قلبي إلى حين، وكلما وقع بصري على الشاب انقبض صدري، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلّة على الشارع الذي يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفونني ولكني رأيت حارة الجراج التي تطل عليها شفتي بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضي، وجرى

الوقت واقترب المساء فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمي بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابي عن الشقة.

فقال الشاب: لا تقلق. معي شمعة. فساورني شك بأن الفرصة ستكون متاحة لنهب ما خف وزنه وبحثت عن المعلم فقيل لي أنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلبي يتزايد، وتصورت أن غيابه في الحمام مؤامرة، وأنتى وحيد في وسط عصابة، وناديت على المعلم ونذر المساء تتسلل إلى الشقة.

حلم 25

رأيتها في الحجرة معي، ولا أحد معنا، فرقص قلبي طربا وسعادة، وكنت أعلم أن سعادتي قصيرة، وأنه لن يلبث أن يفتح الباب ويجيئ أحد. وأردت أن أقول لها إن جميع الشروط التي أبلغت بها على العين والرأس، ولكن تلزمني فترة من الزمن ولكني فتنت بوجودها فلم أقل شيئا، وناديت رغبتى فخطوت نحوها خطوتين، لكن الباب فتح ودخل الأستاذ وقال بحدة إنك لا تفهم معنى الوقت واقتلعت نفسي، وتبعته إلى معهده القائم قبالة عمارتنا، وهناك قال لي: أنت في حاجة إلى العمل عشر ساعات يوميا حتى تتقن العزف. ودعاني للجلوس أمام البيانو فبدأت التمرين وقلبي يحوم في حجرتي، وسرعان ما انهمكت في العمل. وعندما سمح لي بالذهاب كان المساء يهبط بجلاله. وبادرت أعبر الطريق على عجل. ولكن لم يكن ثمة أمل في أن تنتظرنى مدة غيابي. وإذا برجل صيني طويل اللحية بسام الوجه يعترض سبيلي ويقول: كنت في المعهد وأنت تعزف، ولا شك عندي أنه ينتظرك مستقبل رائع وانحنى لي وذهب وواصلت سيرى وأنا مشفق مما ينتظرنى في مسكنى من وحشة.

حلم 26

جمعنا مقهى بلدى، وقص علينا صاحبى قصة بوليسية من تأليفه. وقبيل الختام دعانا إلى الكشف عن القاتل. ومن يفر يُعفى من دفع ثمن طلبه، ووفقت إلى الإجابة الصحيحة وسعدت بذلك غاية السعادة. وبعد ساعة استأذنت فى العودة إلى بيتى. ولا تشغالى بنجاحى تهت فسرت فى طرق حتى وجدت نفسى أخيرا أمام المقهى مما أثار ضحك الجميع، وتطوع أحدهم فأوصلنى إلى بيتى وودعنى وانصرف .

وبيتى مكون من طابق واحد وحديقة صغيرة وشرعت فى خلع ملابسى ولما صرت بملابسى الداخلية لاحظت أن خطا من التراب يتساقط من أحد أركان الغرفة. وكان هذا المنظر قد ورد فى القصة التى ألفها صاحبنا وكان نذيرا بسقوط البيت على من فيه فبكيت أن بيتى الصغير سينقض فوق رأسى. وملكنى الفرع فغادرت البيت بسرعة ولهوجة واستزادة فى الأمان انطلقت بعيدا عن البيت بأقصى سرعة فى الهواء الطلق.

حلم 27

فى سفينة عابرة للمحيط أجناس من كل لون ولغات شتى. وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة إنى ذعرت ولكن أحدا لم يكن يعنى بأحد. وقال لى خاطر إننى وحيد فى أعماق المحيط. وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوسا وينقشع بيقظة دافئة بالسرور. والريح

تشدد والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج. وظهر أمامي فجأة حمزة أفندي مدرس الحساب بخيرزائه وحدجني بنظرة متسائلة عن الواجب. كان الإهمال الواحد بعشرة خيرزانات تكوى الأصابع كيا. وازددت كرهاً من ذكريات تلك الأيام. وقال لي الرجل سوف تكتب (.....) وهممت بدق عنقه ولكني خفت أن يكون أى خطأ سبباً في هلاكى فسكت على الذل وتجرعته رغم جفاف ريقى. ورأيت حبيبتي فهرعت نحوها أشق طريقاً بين عشرات المذهولين. ولكنها لم تعرفنى وتولت عنى وهى تلعن ساخطة وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها فى العاصفة واعتقدت أنها تبين لى طريق الخلاص فجريت متعثراً نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلى ملوحاً بعصاه.

حلم 28

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجيء أما الفتاة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحياناً السندوتشات. وابتسم لى الحظ فربحت عدداً من الجنيهاً يعد كبيراً فى مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أننى سانسحب، وعلى أن أحداً لم يصدق عذرى إلا أننى انسحبت وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لى خفية عن بعض أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجاً على التهمة البطالة وقام الرجل ومعه آخران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهى تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التى تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكنى القريب.

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتني أن المجموعة غاضبة وزادها السكر غضباً وتهدد باقتحام مسكنى وإشعال فضحية فى الحى كله ونصحتني أن أرد ما ربحته حلاً للمشكلة ولكنى قلت لها أنهم سيعتبرون ذلك اعترافاً بجريمة لم ترتكيبها، فقالت إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها.

وعاد الهدوء لليل ولكنى لم أزل أتوقع فضيحة أو شراً من ذلك.

حلم 29

المكان جديد لم أراه من قبل. لعله بهو فى فندق وقد جلس الحرافيش حول مائدة. وكانوا يناقشوننى حول اختيار أحسن كاتبة فى مسابقة ذات شأن، وبدأوا ضاحكين أن الكاتبة التى رشحتها لم تحز أى قبول. قالوا إن ثقافتها سطحية. وإن سلوكها غاية فى السوء وعبثاً حاولت الدفاع، ولاحظت أنهم ينظرون إلى بتجهم غير معهود وكأنهم نسوا عشرة العمر. وتحركت لمغادرة البهو فلم يتحرك منهم أحد وأعرضوا عنى بغضب شديد، سرت نحو المصعد ودخلت وأنا أكاد أبكى. وانتبهت إلى أنه توجد معى امرأة فى ملابس الرجال ذات وجه صارم. قالت إنها تسخر بما يسمونه صداقة وإن المعاملة بين البشر يجب أن تتغير من أساسها. وقبل أن أفكر فيما تعنيه استخرجت مسدساً من جيبها ووجهته إلى طالبة إياى بالنقود التى معى. وتم كل شئ بسرعة ولما وقف المصعد وفتح بابه أمرتني بالخروج. وهبط المصعد ووجدتني فى طريقة مظلمة وقهرنى شعور بأننى فقدت أصدقائى وأن حوادث كالتى وقعت لى فى المصعد تقربص بى هنا أو هناك.

حلم 30

هذا بيتنا بالعباسية، أدخل الصالة أمي تذهب إلى المدخل وأختي تجي فتقف لحظات ثم تلحق بأمها، لم نتبادل السلام ولكني أعلنت عن جوعي الشديد بصوت مسموع، لم يرد أحد فكررت الطلب وسمعت أصواتاً في الحجرة المطلّة على الحقل فذهبت إليها فوجدت أخي الأكبر يجلس صامتاً ويتربع أمامه على الكنية شيخ الأزهر، وقال الشيخ كلاماً جميلاً، ولما انتهى قلت له أني جائع فقال لي أن أحداً لم يقدم له القهوة ولا حتى قدح ماء، فغادرت الحجرة وقلت بصوت تسمعه أمي وأختي أن يقدموا القهوة لفضيلة الشيخ وأن يحضروا لي طعاماً ولو قطعة خبز وجبنة - ولم أتلق إلا الصمت غير أني سمعت حركة في الحجرة المطلّة على الفناء فأسرعت إليها وذكرت أنها حجرتي وفيها الفونوغراف والأسطوانات التي أحببتها فوجدت بنت الجيران التي كانت تزورني لتستعير بعض أسطوانات سيد دوريش خصوصاً اسطوانة أنا عشقت. وكانت تبحث عن إبرة لتسمع أسطوانة فقلت لها إنني جائع، فقالت لي أنها جائعة أيضاً. وغلبني الجوع فغادرت الحجرة وصحبت طالبا لقمة، ولما لم أجد أي شيء، غادرت البيت وقد حل المساء، يظل الطريق خال وخفت أن تكون المحال قد أغلقت ولكني اتجهت نحو المخبر منهوك القوى من الجوع وثمة أمل يراودني.

حلم 31

أمتطي حماراً يسير بي وسط الحقول خطوات رتيبة وأنا خال من المشاعر تحت أشعة شمس الخريف وترامي إلينا نباح كلب فتوقف الحمار فتخسته بكعبي فعاد إلى السير ويعود النباح فأحدد بصري لأرى الرجل الذي أقصده. وظهرت امرأة محاطة بالعديد من الكلاب فهتفت فيها لتكف عن النباح فأذعنت لها، فسلمت، وقلت إنني قادم لمقابلة الشيخ بناء على خطابين متبادلين. قالت المرأة إنها صاحبة الأمر الأخير وأنها تستطيع أن تقدم الخدمات المطلوبة كما تستطيع أن تفني من تشاء إن حرضت عليه الكلاب.

فقلت إنني جئت للسلام لا للحرب وإنني أريد عملاً. وأشارت إلى فنزلت عن ظهر الحمار ووقفت أمامها في خشوع وسارت وتبعتها ومن خلفي الحمار تحيط بنا الكلاب ووقفت أمام مبنى صغير فتوقف الركب كله وأمرتني بالدخول فدخلت وقالت لي أن أنتظر في الداخل وحذرتني من الخروج إلى الكلاب التي لا ترحم فسألته حتى متى ألبى. وماذا عن العمل. وأن الشيخ وعدني خيراً ولكنها لم تحفل بكلامي وامتطت الحمار وذهبت تاركة الكلاب حول المبنى. وكانت ترسل إلى باحتياجائي مع رجال أشداء ولكنهم لا ينبسون بكلمة وأفكر أحياناً في الدخول مع الكلاب في معركة حياة أو موت. ولكن يتغلب الأمل فانتظر.

حلم 32

حدثني الزميل القديم إنه ذاهب للعمل في اليمن وقال لي إن ثمة كلاماً يدور حول دعوتي للعمل في اليمن وحثني على القبول فوعدت بالتفكير في الموضوع دون أن أبدى أي حماس له. وفي البيت الذي أعيش فيه وحيداً مع كلبتي فكرت في الأمر على غير المتوقع. وشجعني على ذلك نفوري من كلبتي الذي تولد منذ أخذ وجهها يتغير ويتخذ صورة وجه إنسان. كانت وهي كلبة خالصة جذابة ومسلية أما بعد التغيير المذهل فلم تعد كلبة ولا بلغت أن تكون إنساناً، وسرعان ما أجد نفسي في حجرة مكتبي في اليمن وسكرتيري الخاص واقف بين يدي، وكانت الحرارة شديدة، فسألت السكرتير عن حال الجو في هذا البلد فقال لي إنه دافئ شتاءً وشديد الحرارة بقية فصول السنة ولكن المبنى مرتفع جداً وكلما ارتفع تحسن الجو وأنه ما على كلما ضقت

بالجو إلا أن أكتب التماسا للمدير للنقل إلى طابق أعلى. سررت بعد اكتتاب وقمت إلى النافذة ونظرت إلى أعلى فرأيت المبنى عظيم الارتفاع حتى خيل إلى أنه يلامس السماء.

ورأيت رؤوسا تطل من النوافذ العالية فارتعش قلبي لرؤيتها إذ رأيت فيها وجوه أحبة الزمان الأول. سررت سرورا لا مزيد عليه وحمدت الله على قبولي الدعوة للعمل في اليمن السعيد.

حلم 33

ماذا حل بالشارع بل بالحي كله؟ على ذلك لم أكن أتوقع خيرا فيما أرى.

الحي كله كأنما هرم به العمر فذهب رونقه وتناثرت القمامة هنا وهناك وصادفني أحد العاملين فسألته:

- ماذا جرى؟

فأجاب وهو يتسهم:

- البقاء لله وحده، وسبحان مغير الأحوال.

وقصدت مسكن صديقي متوقعا أن يحيق به ما حاق بالحي كله أو أكثر، ولا أنكر أنه كان وساطتي للحصول على بعض الأدوية الضرورية من الخارج كما كانت مكالمة تليفونية منه تحل أعصى المشكلات في المصالح الحكومية، وجدته كاسف البال لا يأمل خيرا في شيء. فعزيت له وقلت له إنه صاحب مهنة على أي حال.

فقال متهكما:

- ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غيرنا.

وساءلت نفسي ترى هل يوجد حقا ما هو أسوأ، وسرعان ما حضر نفر من الشبان والشابات، ومع كل حقيته ملأها بأشيائه المودعة في الشقة مثل البيجامات والملابس الداخلية والقمصان النسائية الفاتنة وداھنة وروائح عطرية.

وحمل كل حقيته وذهب. نطق كل شيء بما كانت تؤديه شقته من خدمات كما فطن بتدهوره. وتساءلت في نفسي. ترى هل كان ينعم بالفخر، أو أنه تجرع المذلة والقهر؟

حلم 34

عند منعطف من منعطفات الحارة، رأيت أمامي الصديقين الشقيقين اللذين طال غيابهما وأحزنني غاية الحزن، وبهتتا ثم فتحت الأذرع وكان العناق الحار، وتذاكرنا الأحزان والأفراح والليالي الملاح، وطلبا

منى زيارة سكنى فمضيت بهما إليه على بعد أمتار، وتفحصاه حجرة بعد حجرة وضحكا طويلا كعادتهما ثم أعربا عن أسفهما لبساطة المأوى، ثم سخرأ منى بلسانيهما اللاذعين الجذابين. وسألانى عن عملى الذى أعيش منه، فأجبت بأننى عازف رباب وأتغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر، وعزفت لهما وغنيت فقلا إنها حياة أشبه بالتسول ولذلك فهما لا يدهشان لما يبدو فى وجهى من آثار الضعف والبؤس وقالوا لى أنهما بحثا عنى طويلا حتى عثرا على، وتبين لهما أن قلقهما على كان فى محله وأنهما يبشرانى بالفرج. حمدت الله على ذلك ولكن ما الذى يبشراننى به قالوا ستهاجر معنا إلى المكان الجميل والرزق الوفير، فسألت كيف يتيسر لى ذلك فقلا إنهما - كما أعلم - يمتان بصلة لأصحاب النفوذ ولا خير يجئ إلا عن طريق أصحاب النفوذ.

وتأبطا ذراعى وسارا بى إلى الخارج، حتى بلغنا أحد الرجال العظام شكلا وموضوعا، واستمع للحكاية بوجه محايد، وقال لى إن الهجرة تحتاج لهمة عالية وصبر طويل، فوعدنى خيرا وقال الصديقان، إنهما يطمئنانى. فقال:

- انتظرونى عند الجامع على طلوع الفجر.

حلم 35

فى بيت العباسية ونحن ناوى إلى أسرتنا للنوم أيقظنى صوت ابن أخى وهو يصيح حريق فى السقف، ونهضت فزعا وجاء ابن أخى بالسلم الخشبى وأقمناه فى الصالة وصعد كل واحد منا على جانب حاملا ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار السارية بين الأركان واقتحمت حجرة أختى وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبدا تنعم بالنوم وعلى أى حال ساعدتنا يملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها. وبدأنا نحقق فى الأمر ولكن رجال المطافئ حضروا على أثر استدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمود النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفحمنا فزعا. وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ أن بيت العباسية لم يكن به تليفون وهكذا أصبحنا فى مسكن آخر مع أناس آخرين دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التى استأجرنا بها شقة فى الإسكندرية ودعانا الرجل إلى الإسكندرية دون إبطاء وأنه شبت النار داخل الشقة وطمأننا أنه استدعى المطافئ فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضرورى بطبيعة الحال وفى الحال ارتدينا ملابسنا أنا وزوجتى وأسرعنا إلى محطة الباص الصحرواى وكنا فى غاية الكدر والإنزعاج حتى أننى اقترحت على زوجتى إخلاء الشقة وتسليمها لصاحبها خاصة وأنها تعرضت إلى محاولة سرقة قبل ذلك ولكنها قالت لى انتظر حتى نرى ماذا ضاع منها وماذا بقى.

حلم 36

جمعنا بهو ما. ثمة وجوه أراها لأول مرة ووجوه أعرفها جيدا من الزملاء. وكنا ننتظر إعلان نتيجة يا نصيب. وأعلنت النتيجة وكنت الراح وكأنت الجائزة فيلا حديثة وحصل زياط وتعليقات وتهانى. لم تستطع وجوه كثيرة أن تخفى كمدها. وقال لى كثيرون إنه فوز ولكنه خازوق من أين لك المال لتأثيثها وتوفير الخدم اللازمين لها واستهلاكات الماء والكهرباء وخدمة حوض السباحة والتكييف الخ.

الحق أن الحلم مازال حلما وها أنا أتفقد الفيلا كل يوم تقريبا وأرجع بالخيمة والحسرات. واستغل أناس قلة خبرتى وأقنعوني ببيعها واشتروها بثمن فرحت به ساعات حتى تبين لى أننى خدعت وسرقت.

وحدث فى ذلك الوقت أن خلت وظيفة مدير عام وكثير التزاحم حولها والمرشحون وبطاقات ذوى النفوذ وقابلت الوزير وقلت له إننى لا وسيط لى سواء ولكنه قال لى إنك لم تستطع أن تحافظ على مالك الخاص فكيف أأتمنك على المال العام.

وصرت نادرة ومثالا فطلبت ضم المدة الباقية لى فى الخدمة إلى خدمتى وإحالتى إلى المعاش وأخيرا وجدت الطمأنينة فى موضع لا يتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح.

حلم 37

المحمل يتمايل فوق الجمل المزين بالألوان والورود. أمامه رجل يغرس فى فيه عامودا ذا رأس تدلى منها شراشيب ورأس الجمل فى مستوى أول طابق من بيت أطل أنا من نافذته وتلاقت عيني مع عين الجمل فقرأت فيها ابتسامة وغمزة وحلت لى البركة فطرت من موقعى وراء النافذة ودرت حول رأس الجمل بجلابى وشعرى المنفوش وكبر الناس وهللوا وزهللوا لوقوع المعجزة وتماديت أنا فارتفعت فى الجو وتراجعت نحو سطح بيتى وهبطت. وبعد مرور المحمل تجمع الناس أمام البيت يريدون مشاهدة الإنسان الطائر. وإذا بهم يتحولون فجأة من الإعجاب إلى الخوف والحذر وقالوا إن روحا شريرة حلت بالشخص الطائر وأن طيرانه حول رأس الجمل نذير شؤم للناس جميعا وأنه يجب أن يبرأ من الشيطان وذلك بجلده حتى يتطهر تماما فإذا رفض الدواء عرض نفسه للعقاب المناسب وهو القتل، وركب الرعب الشاب وأسرته واستتجدت الأسرة بالشرطة واشترط المأمور أن يرى المعجزة وهى تحدث أمام عينيه وذهب إلى البيت ورأى المعجزة وبهر بها حقا ولكنه وجد نفسه بين رأيين. الأسرة تقول إنها كرامة من كرامات الأولياء والناس تؤكد أنه عبث من الشيطان ونذير شر.

وأخيرا قرر المأمور أن يضع الشاب فى السجن حتى ينسى الموضوع برمته.

حلم 38

فى حجرى جالس أستمع إلى أغنية يذيعها الفوغراف، دخلت من الباب المفتوح فتاة فى العشرين جميلة ورشيقة ومثيرة. اكتسحتنى دهشة ورغبة فقممت من مجلسى واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها. وبهدوء مدت يدها بخطاب فتناولته ونظرت فيه ثم رددته إليها وأنا أقول لها إننى لا أستطيع القراءة لضعف بصرى وطلبت منها أن تقرأه هى ولكنها اعتذرت بأنها لا تقرأ ولا تكتب وأن والدها كتبه للأمير المسطر اسمه على الظرف ووصاها والدها قبل وفاته بأن تجيئنى بالخطاب لأحمله إلى الأمير، وقلت لها ودهشتى تتزايد إننى لا أعرف الأمير ولا أى أمير غيره وساورنى الارتياح من ناحيتها وحاولت تغيير الموضوع ولكنها ذهبت.

وعندما كنت أعبّر جسر قصر النيل فى طريقى إلى عملى ظهرت لى عند نهايته فتجاهلتها ولكنها تبعتنى مسافة غير قصيرة.

وعندما عدت إلى مسكنى وجدتها مستقرة. حذرتها من أن تعود إلى موضوع الخطاب والأمير. ومر وقت طيب ولكنى لم أخل من الوسوس. والظاهر أنها لم تخل كذلك من مخاوف. وكان واضحا أننا نريد الهرب بطريقة أو بأخرى.

حلم 39

دخلت حجرة الوزير ومعى بيان مكتوب على الآلة الكاتبة بأسماء الموظفين المرشحين للترقية. اسمى بينهم وواضح أن الوزير يخصنى بالرعاية.

وقع الوزير البيان فى أعلاه وذهبت به إلى إدارة المستخدمين لتنفيذه. اتجهت إلى الموظف المختص وكانت فتاة شابة جميلة. نظرت فى البيان ولاحظت أن الوزير وضع إمضاءه فى أعلاه وأنه كان يجب أن يضعه فى أسفله. وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية على الموظفين المسجلين فى أعلاه، اغتظت وشكوت ما نلاقى من الروتين ولكنها أصرت على موقفها فحملت البيان من جديد إلى الوزير فوقع اسمه فى الموضع الصحيح وهو يضحك. ورجعت إلى الفتاة وسلمتها البيان. وكانت تجلس على يمين مكتبها موظفة صديقة معروفة بالمرح فدافعت عن تصرف زميلتها قائلة إنها تضمن بالترقية على الموظفين العراب وترى أن المنزوحين أولى بها. وتظاهرت الموظفة بأنها تضايقت من إذاعة هذا السر ولما قابلتني الموظفة المرححة بعد ذلك سألتني عن رأيي فى موظفة المستخدمين فصارحتها بأنها أعجبتني فاقترحت أن تبلغها بإعجابي كمقدمة لجمع رأسين فى الحلال. فطلبت مهلة للتفكير فقالت إننى لم أعد شابا وأن عمرى يضيق فى التفكير وأصرت على إبلاغها واستسلمت فلم أرفض.

حلم 40

قُبيل المساء وأنا عائد إلى بيتى متدثرا بالمعطف والكوفية اعترض سبيلى صبي وصبية غاية فى الجمال والتعاسة وطلبا منى ما أجود به لوجه الله وبحثت فى جيبى عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهاات الخمسة وطلبت من الصبي أن يذهب إلى أقرب كشك ويشتري لى قطعة شيكولاتة ويجيئني بالباقي. وما غاب الصبي عن عيني حتى بكى الصبية واعترفت لى بأن أخاها يعاملها بغضب شديد ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهي تزدداد كل يوم انحرافات وشرا وتدعو الله أن ينفذها مما تعاني. تأثرت وتحيرت. ثم عرفت أن الصبي لن يعود وأدركت مدى حماقتي لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمنى أهلى بالطيبة والغفلة ولكنى لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتى لتبدأ حياة جديدة مع أهلى. وتحسنت أحوالها وبدأت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها.

وذاث يوم جاء لى شرطى ومعاه الصبي الأخ ولما رأى أخته أمسك بها. وعلمت أنى مطلوب فى القسم وهناك وُجّهت إلى تهمة اغتصاب البنت والاحتفاظ بها فى بيتى بالقوة وذهلت أمام ما يوجه لى وطلبت من البنت أن تتكلم فبكت ووجهت إلى من الكبائر ما لم يخطر لى على بال. وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود فى عيني وعلى الرغم من إيمانى الراسخ فلم تغب عني خطورة الموقف.

حلم 41

قال لى السمسار: لا تضجر ولا تيأس يلزمك الصبر الجميل. وكنت أعرف أنه على علم بسر قلقي. وأننى مهدد بأن أفقد المأوى وأجد نفسى فى الطريق. قلت له بأننى رأيت من المساكن عدد شعر رأسى، ولكن الأسعار دائما فوق قدرتى. وما هذه المساكن الخيالية التى يقدر ثمن الشقة فيها بالمليون. والعجيب أنه أكد لى أن أربع زميلات لى يملكن شققا فى هذه المساكن الخيالية. وغبطن على قدراتهن الخارقة، وقال لى الرجل إن الأمل الأخير فى عمارة الحاج على بحى الحسين وأن علينا أن ننتظر عودته من الحج وقلت له إننى أنكره من أيام إقامتنا فى الحى العتيق وإننى كنت أشتري منه الفول أحيانا بنفسى فضحك الرجل وقال إن هذا ما يقوله الكثيرون ممن يرجون امتلاك شقة فى عمارته الجديدة.

قلت بخوف:

إنه الأمل الأخير.

فقال بلهجة مشجعة:

عليك بالصبر الجميل.

حلم 42

السفينة تشق طريقها بين أمواج النيل الرزينة. نحن جلوس على صورة دائرة يقف فى مركزها الأستاذ. وضح أننا نؤدى الامتحان النهائى. وكان مستوى الإجابات ممتازا. وتفرقتا نشرب الشاي ونأكل الجاتوه. وتسلمنا شهادات النجاح وعند المرسى وقفت السفينة وغادرتها، وكل يحمل شهادته فى مظروف كبير. ووجدت نفسى أسير فى شارع عريض خال من المباني ومن المارة ولا ح لى مسجد يقوم وحيدا فاتجهت نحوه لأصلى وأرتاح قليلا، ولكن تبين لى حال دخولى أنه بيت قديم، همت بالرجوع، ولكن جماعة من قطاع الطريق أحاطوا بى وأخذوا الشهادة والساعة والمحفظة، وانهالوا على ضربا ثم اختفوا فى أرجاء البيت.

خرجت إلى الطريق وأنا لا أصدق بالنجاة. وبعد مسيرة يسيرة صادفتنى دورية من الشرطة فهرعت إليهم وحكى لى لقائهم ما وقع لى.

وسرنا جميعا نحو بيت اللصوص، واندفعوا داخلين شاهري أسلحتهم ولكننا وجدنا أنفسنا فى مسجد والناس يصلون وراء الإمام. وحصل ذهول وتراجعنا مسرعين وأمر قائد الدورية بإلقاء القبض على. وجعلت أؤكد ما وقع لى وأقسم بأغلظ الأيمان ولكن وضح لى أنهم أخذوا يشكون فى عقلى على أنى لم أكن دونهم حيرة وذهولا.

حلم 43

ليلة زفاف ابن عمي تقام في بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغاني. يتقدم ابن عمي تتأبط ذراعه عروسه في حلة العرس. وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضهما مفتش الشرطة. ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك. انقض المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغير وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطة، وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك.

وأقبلوا على ابن عمي يواسونه ويحمدون الله الذي نجاه من شر أوشك أن يطوقه، ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكي وقررت أن أمضى الليلة في بيت العباسية مع أهلي ولكني اكتشفت أن جميع مصابيح الكهرباء معطلة.

فسألت أختي كيف يعيشون في الظلام. واكتشفت أيضا أن جدرانه تحتاج إلى ترميم ودهان وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه، وأعيده إلى رونقه القديم.

حلم 44

وجدت نفسي جالسا أمام مكتب وزير الداخلية. منذ أيام قلائل كان زميلي في الجريدة، وكان اختياره وزيرا للداخلية مفاجأة، وانتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلني بمودة وترحاب وعرضت عليه مطلبي وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له، لأختار في وظيفة معينة في شركة من شركاته. وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وانتهت المقابلة على أحسن حال.

وفي مساء اليوم نفسه وأنا أمشي على شاطئ النيل اعترضني رجل ممن تسمع عنهم في الصحف، وأشهر على سلاحا وسلب مني نقودي. كانت في حدود خمسين جنيها.

رجعت إلى منزلي مضطربا ولكني لم اتخذ أي إجراء يؤثر في الميعاد الذي حدده لي رجل الأعمال، وعند الضحى كنت في مكتبه، وبعد دقائق سمح لي بالدخول وقدمت التوصية، ولكني تجمدت في موقعي لحظة غاية في الحرج. قلت في نفسي: ربا، إنه اللص الذي سرقتني أو أخوه التوأم.

ودارت بي الأرض.

حلم 45

على سطح البحيرة ينطلق قاربي البخاري وذاك قارب آخر يتبعني أو هكذا خيل إلي، وأسرع فيسرع وساورني القلق. ولكن لماذا يتبعني؟

ووجدتني أقترب من مرسى فخم فرسوت وصعدت سلما إلى شرفة واسعة وعرفت أنها تتبع السفارة الروسية، وكانت الشرفة مليئة بالمعزين الذين جاءوا يعززون في وفاة فقيدة عزيزة.

وسلمت على السفير وجلست أسمع ما يقال عن الفقيدة. وأنظر إلى البحيرة فلا أرى أثرا للقارب الآخر فاطمأن قلبي.

وقمت فى الوقت المناسب إلى قاربى وانطلق بى فى اتجاه الشاطئ الآخر ونظرت خلفى فرأيت القارب الغريب وهو ينطلق ورائى وكنت بلغت وسط البحيرة فرأيت من الأفضل أن أسير إلى الشاطئ عن الرجوع إلى السفارة وقلت أنه عند الشاطئ يتضح حقيقة الموقف المواجهة بكل قوة.

حلم 46

جمعنا حديقة. درج صاحبنا يغنى ونحن نسمع ونطرب ويعلو منا هتاف الوجد والاستحسان. وأزعجنا العباد فشكونا إلى الشرطة. ورأينا الشرطة قادمة فتفرقنا لأنذين بالفرار. جريت فى الاتجاه الذى اتفق وكلما نظرت خلفى رأيت الشرطى يجرى فى إثرى بكل قوة وإصرار، وظهر لى شخص يجرى أمامى وكأنه يفر منى. من يكون ذلك الشخص؟ ذكرتنى رشاقتة وجميل قوامه بالحبيبة. وهكذا صعدنا البرج وفوق سطحه منتنى النفس باحتضان حبيبتى ولكنها تخطت السور وهوت من ذلك العلو الشاهق إلى الأرض. فقدت عقلى وزاد من تعاستى اقتراب الشرطى فوثبت من فوق السور وراء حبيبتى توقعت أفضع ألم وكان لارتطامى بالأرض دوى مثل قنبلة لكنى لم أشعر بأى ألم. وقمت واقفا فى تمام الصحة. تلفت فلم أجد لحبيبتى أثرا ونظرت إلى أعلى البرج فرأيت الشرطى يطل علينا وهو يغرق فى الضحك.

حلم 47

فى الطريق لعب أمامى مجموعة من الصبية فشعرت أنهم يضمرون لى السوء. وعجبت لأنه لم يحصل بينى وبينهم ما يدعو إلى ذلك، وسرت فى حذر وأنا أتذكر بدهشة حالى عندما كنت فى سنهم.

ووجدت أمامى محلا كبيرا يعد ليكون محلا لبيع الحلوى كما فهمت من لافتته الكبيرة، وكان العمل على أشده فى إعدادة فاقتربت منهم وسألتهم 'هل مستقدمون ضمن الحلوى بقلاوة وكنافة' وكف العمال عن العمل واتجهوا بأنظارهم نحوى وعلى حين فهقه الصبية وصفروا. وجاء من أقصى المحل رجل بدا أنه صاحبه وسأل 'هل حقا مازال يوجد أناس يحبون البقلاوة والكنافة؟' وسرت بين العمال مهمة وراح الصبية يرقصون ويصفرون ويكورونا قبضات أيديهم فى وجهى.

حلم 48

أقبلت فوجدت فى الحجرة الحرافيش، وسألت عن الغائب الوحيد فقالوا إنهم أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش فى طلب فرقة الباليه الجديدة ولا أدرى كيف فسد الجو بينى وبينهم وتجهمت وجوههم جميعا، وهممت بمغادرة المكان، ولكن فرقة الباليه وصلت وفى الحال عزفت الموسيقى ودار الرقص وخفت التوتر بيننا، واندمجنا فى الرقص والنغم، بل وصفت القلوب وانهالت علينا النشوات وغمرنا الحب والمودة.

وإذا بنا ننضم إلى فريق الراقصين والراقصات ونشارك فى الأناشيد والأغاني وتعاهدنا دون كلام على أن نؤرخ تلك الليلة.

حلم 49

قصدت المبنى الأبيض الأنيق: في صدر البهو جلست السيدة الجميلة، واجتمعنا إليها فراحات تتحدث عن شركة الإنتاج الفني التي قررت إنشاءها. ورحبنا بالشركة وصاحبيتها ومضى كل منا يدلي برأيه في الإنتاج والعمل. ولم نختلف إلا حول الأجور. فقد كان رأيها أن يحدد الأجر تبعاً للاتفاق معها. وكان رأيي الذي أيده البعض أن يحدد الأجر بنسبة ثابتة من تكاليف الفيلم أو المسرحية. وأجلت المناقشة إلى جلسة أخرى. وقلت لزملائي إن الأخذ برأيها يجعلنا تحت رحمتها وإن النسبة توضح الأمر وتغلق الباب أمام الانتهازية.

ودعنا السيدة مع آخرين للعشاء. وبعد العشاء أقيمت حفلة موسيقية. وما ندرى إلا والسيدة تتجرد من ثيابها وترقص عارية وبصورة غاية في الإثارة.

واستقر رأيي بصفة نهائية. قررت أن أبتعد عن الشركة وصاحبيتها.

حلم 50

كنت أتطلع إلى امرأة فاتنة تسير في الطريق، فاقترب مني بجرأة وهمس في أذني أنها تحت أمرى اذا أمرت. كان براق العينين منفرا ولكنى لم أصده. واتفقنا على مبلغ وأصر على أن يأخذ نصفه مقدما فأعطيته النصف. وضرب لى موعدا ولكن عند اللقاء كان بمفرده واعتذر بتوعدك المرأة وكان على أتم استعداد لرد المقدم ولكنى صدقته وأبقيته معه. وكان يقابلنى فى حلى وترحالى ويطالبنى بالصبر. وخشيت أن تسئ هذه المقابلات سمعتى فأخبرته أننى عدلت عن رغبتي ولن أسترده المقدم ولكن عليه ألا يقابلنى. ولم يعد يقابلنى ولكنه كان يلوح بها فى أكثر الأماكن التي أختلف إليها. وضقت به كما كرهته وقررت الانتقال إلى الإسكندرية. وفى محطة سيدى جابر رأيته واقفا وكأنه ينتظر.

حلم 51

وقف القطار دون وجود محطة فتساءلت صاحبتى عن السبب ولكنى لم أدر كيف أجيبها.

وإذا بكتائب من الجيش تطوقه فتفتحهم شاهرة أسلحتها وسافت الى الخارج كثيرين من ضباط الجيش الذين كانوا بالقطار وعددا محدودا من المدنيين. وقبض على فيمن قبض عليهم فتركت صاحبتى منزعة خائفة. وجدنا أنفسنا فى صحراء. أمرنا الجنود المسلحون بخلع بدلنا والبقاء بملابسنا الداخلية، ولكنهم وضعوا العسكريين فى ناحية والمدنيين فى ناحية، وأخذنا نتهامس أننا ضعنا وانتهى الأمر.

وجاء قائد الجنود ونادى علينا كل واحد باسمه. وتساءل صوت منا:

- هل تقتلوننا بلا محاكمة؟

فأجاب القائد بصراحة:

- الأمر لا يحتاج الى محاكمة

وتحرك القطار فتذكرت صاحبتى.

حلم 52

دعينا إلى اجتماع فى حديقة الأزبكية. وهناك طرح علينا اقتراح بتكريم أستاذنا الجليل بمناسبة مرور مائة عام على مولده، ولم يتحمس أحد، ولكن لم يبد أحد منا اعتراضه. واتفق على أن يتم التكريم فى وزارة الخارجية التى قضى فيها زهرة عمره وأنجز أكبر مآثره.

وفى اليوم الموعد ذهبت مبكراً لأتفقد المكان واتجهت من فورى إلى البهو المختار، كان أنيقاً مهيباً كعادته ولكن ازدان هذه المرة بوجود الفتيات الحسان اللائى عشقهن على مدى العمر.

جنن فى زى موحد ليقمن بالخدمات المطلوبة وقد اكتسبن برونق الشباب الريان، خفق قلبى بشدة وتحيرت بين نداءات الحسن وجاء قلبى بأقصى قدراته من الحب. وجاش صدرى بالمعانى التى سألقيها فى خطاب التكريم.

حلم 53

سألت عن صديقى فقيل لى إن الموسيقار الشيخ زكريا أحمد يسهر فى بيته كل ليلة شاديا بالأحانه حتى مطلع الفجر فقلت يا بخته ودعيت لحضور سهرة فذهبت إلى الحجرة الواسعة المزخرفة جدرانها بالأرابيسك. ورأيت الشيخ زكريا جالسا على أريكة محتضنا عوده وهو يغنى 'هوه ده يخلص من الله' وفى حلقة جلست الأسرة نساء وأطفالا وبينها رجل معلق من قدميه وتحت رأسه على مبعدة ذراع طست ملئ بمية النار.

وضاعف من ذهولى أن الجميع كانوا يتابعون الغناء دون أدنى التفات إلى الرجل المعذب.

حلم 54

فى الحجرة المغلقة دار الحوار بينى وبين المذيعة وكان الحديث عن الموسيقى المحلية والأجنبية، وعند بعض مراحل الحوار أقوم للبيانو وأعزف عليه بعض الألحان. وكلما مر وقت فتح الباب ودخلت سيده من أهل البيت لعلها أمى أو أخرى فى منزلتها تقدم مشروباً وتذهب، ولكن وضح لنا أنها كانت تراقب خلوتنا بريية.

وضقت ذراعاً برقابتها فعزمت على تحديها بصورة غير مسبقة فما أن سمعت صوت الباب وهو يفتح حتى اندفعت نحو المذيعة وضممتها إلى صدرى.

ولم أعد أبالى شيئاً كما لم أجد غضاضة ما. ولما انتهيت من التحدى كانت المرأة قد اختفت من الحجرة بل ومن البيت كله.

حلم 55

تحتدم المناقشة بين امرأة ورجل وأبنائها الخمسة حول حق الأم التي تجاوزت الستين في الحب والحياة. وتخطت المناقشة الأسوار فصارت حديث الجيران.

يقول البعض إنه حب زائف بين عجوز وشباب في سن أبنائها طمعا في المال الذي ورثته عن زوجها. ويقول البعض إنه ليس للإنسان إلا ما يقدر له من الحياة والحب خاصة حتى ولو أدى ذلك إلى دفع الثمن باهظا. وبدا الأمر في نظر الشبان الخمسة مصيبة لها، وكان من قتل الأم البائسة ووقف الأبناء الخمسة في قصص الاتهام. وتوزعت التهمة عليهم من التنفيذ للمشاركة للتخطيط.

وكان التحقيق فيها والمرافعات حامية إذ كانت مفرداتها الأمومة، والبر، والشرف، والسمعة، والتقاليد ومازالت أذكر وجوههم وأقوالهم كما لازلت أذكر المرحومة أيام كانت تتحدى العمر والألسنة، وتسير متبرجة تتبختر.

حلم 56

غادرت البيت الكبير الذي ينتظر فيه كل رجل بذاته فلا يعرف أحداً من الآخرين. وشعرت بشئ من الأمان بعد القلق.

غير أن شعور الأمان لم يدم طويلا، فخيل إلى أن آخرين يتبعونني، ونظرت خلفي أخذت في الجري، فرأيت عن بعد جماعة قادمة ملوحة بأيديها في الهواء.

فلوسعت الخطى حتى أخذت في الجري. ورأيت في الطريق بيتا وكان هناك من يدعوني فهرعت من فوري إليه ووجدت أهله وكأنهم عائدون من الخارج فهم ينظمون الأشياء ويزيلون عنها الغبار، ولم يدهش أحد لحضورى أمامهم فنظروا لوجهي ودودين في وجوههم وأحاديثهم وابتسامتهم. ونسيت في تلك اللحظة الزاحفين ورأى.

حلم 57

دريت حول الحصن مرتين. حصن حجري نوافذه صغيرة كالثقوب، ومن كل نافذة يطل وجه أعرفه بل وأحبه. والبعض طال غيابه والآخر رحل عن دنيانا من أزمنة مختلفة، فنظرت بشوق وأسى وخيل إلى أن كل وجه يسألني من أعماقه أن أحرره، ونظرت إلى باب الحصن الحجري بلا أمل، ثم ذهبت إلى دار السلطة وطلبت العون، وغادرتها مجبور خاطر قابضا على عامود من الصلب، ورجعت إلى الحصن، ولوحت بالعامود فتهالت الوجوه واصطففت على الباب وضربت ضربة هائلة فتحطم وتهوى، واختفت الوجوه من النوافذ وتعالى هتاف فرحة وسرور، ووقفت خائف القلب منتظرا لقاء الأحبة بلهفة وشوق.

حلم 58

أخيرا جاء الترام الجديد وأصبح درة المواصلات في حي العباسية وكنت من أول من استقلوه وجذبتني إليه ألوانه الخضراء والبيضاء وزخارف جدرانه وفخامة مقاعده. كنت أقعد وأقف وأنا أتعجب من جماله، وأقول لنفسى هذا متحف جميل لا ترام، ولكنى لاحظت مع مرور الزمن أن سلوك ركابه دون مستوى جماله بكثير. والحق أنى رأيت فعلا يندى لها الجبين خجلا، وذات يوم رأيت شابا من الخواجات ينقض على طفلة يريد أن يلتمسها ولكنى حلت بينه وبينها مذكرا إياه بأنها طفلة وقبل أن يشتبك معى صعدت سيدة جميلة فى أوسط العمر فهرع الشاب إليها وهو يهتف: Like you. وقالت السيدة إنها راجعة لتوها من أوروبا حيث شاركت فى الاحتفال بظهور سيرتها الذاتية وعرضت علينا نسخة فإذا على الغلاف صورة امرأة عارية تماما!

حلم 59

إنه عجيب لطول قامته. عجيب فى سلوكه، أما عن قامته فهي مثل منذنة الزاوية، وأما عن سلوكه فإنه يعترض سبيل من يختار من أهل حارتنا، ويحنى قامته المديدة حتى يوازى وجهه وجهه، ويتفرس فى أساريه بامعان، كأنما يبحث عن سر دفين، ويمضى بعد ذلك نحو المقصد حتى يختفى عند المنحنى. وتلقاه الناس بدهشة واجمة وامتعاض شديد، بل إن أحدهم تبعه عن بعد ليكشف أمره، ولما طالت غيبته خرجت جماعة من الأهل والجيران للبحث والاطمئنان ولكنها رجعت مخيبة الرجاء.

عند ذاك جاء دور شيخ الحارة فنهض ليؤدى واجبه، ورجع الرجل جريح الكبرياء، وانقلب الحادث إلى حكاية على كل لسان، كثرت حوله الأفكار والظنون، ولكن بلا جدوى فطواه النسيان أو كاد.

وذات يوم كان شيخ الحارة يسامر إمام الزاوية إذ شعر بوجود يحل فى وجوده، ورأى أمره العجيب بل ولمح قبسا من سره الذى حير الناس، وقرر فى الحال القبض عليه، وأذاع ما عرفه من سره على الملأ.

وهم بالقيام ولكن خائته قواه جميعا، فلم يستطع أن يتحرك ولم يستطع أن ينطق.

حلم 60

دققت جرس الباب ففتح عن ثلاث فتيات يقينا أنى لا أعرفهن، لكننى شعرت بأننى لا أراهن لأول مرة. سألت عن السيدة صاحبة الشقة فأجبن بأنها مازالت فى الحج ولم يعرفن بعد ميعاد عودتها. وسرن بي إلى حجرات الشقة. وعند فتح كل باب أرى جماعة حول مائدة مستديرة غارقين فى مناقشة حادة ولكنى لم أعرف أى موضوع يناقشون من اختلاط الأصوات وتداخلها. ولم أرغب فى الدخول فى أى غرفة مفضلا انتظار السيدة صاحبة الشقة. ولفتت نظرى إحدى الفتيات بأن السيدة سوف تتأخر بضعة أيام ومن يأسى أحببها بعد أن اشتركت فى المناقشات دون جدوى أننى أفضل انتظار عودة السيدة.

حلم 61

وصلتني دعوة عشاء فى بيت قريب عزيز. ولما اقتربت من الباب رأيت أفواجا من المدعوين يدخلون. فأدركت أن الدعوة عامة. ورأيت بين القادمين نخبة من جيل أساتذتى وأخرى من جيل الزملاء. وتبادلنا التحية وبعض الكلام وكان مما أجمعوا عليه أنهم يقيمون الآن فى قرية كرمستوفر وقالوا الكثير عن جمالها

وتفوقها على جميع القرى السياحية. دخلنا وتفرقنا بين الموائد. وكانت جلستى أمام مائدة صغيرة عارية من كل شيء فلا مفرش ولا طبق ولا أدوات طعام وقبل أن أفيق من دهشتى رأيت شكوكو قادمًا نحوى قابضًا على فخذة خروف محمرة. وسلمها لى يدا بيد وذهب وهو يضحك. صعقت واستأت ولكنى لم أر بدا من قطع اللحم بأصابعى لأتناول طعامى غير أننى كنت أفكر طيلة الوقت فى كرسنوفر.

حلم 62

أخيرا عثرت على الصورة القديمة العزيزة بين الأشياء القديمة. ولكن فرحتى لم تتم إذ سرعان ما تبين لى أن الصورة تهرأت بمرور الزمن عليها وطمست ملامح الأعزاء فلم يبق منها بقية تذكر.

وبقدرة قادر وجدت نفسى فى بهو مصلحة حكومية ويبدى ملف خدمة موظف يتتبع خطاى ويطالب بالإنصاف. وأدركت بخبرتى أن الموضوع من اختصاص إدارة المستخدمين.

وبحثت فلم أجد لها أثرا وفيما أمر أمام حجرة المخازن فتح الباب وخرج منه زميل توفاه الله منذ شهر. خطف الملف من يدى ورجع إلى المخازن وهو يؤكد أن الموضوع من اختصاصه. وأنسانى مظهره المهمة التى كانت تشغلنى.

حلم 63

هذه أرض خضراء يحيط بها سور متوسط الارتفاع لكنه كاف لإخفاء ما يجرى داخله عمن فى الخارج، وتنطلق من وسطها مسلة طويلة فى رأسها علم، أما سطحها فيمرح بالشباب والحركة. خلت بادئ الأمر أننى فى ناد رياضى. ولكن بعد أن أمعنت البصر غلب على ظنى أننى فى سيرك، فهنا جماعة تسير على أربع. وهنا فريق يتبادل أفراد الصياح والركل. وفريق آخر يتعاقب الحركة. الشنائم، أما البقية من الشباب فتشددو بالأحان لم يسمع مثلها. وأردت أن أزداد علما فوجدتنى خارج السور فى مدينة كبيرة يشقها شارع عملاق تتكئل الجماهير على جانبيه خارج السور وهى تهتف متطلعة إلى العلم فى رأس المسلة. وأخيرا فتح الباب الكبير. وتهادى منه الموكب، عربة إثر عربة. وفى كل عربة شاب يجلس جلسة ملوكية، ينظر إلى الناس من عل. ويرد تحياتهم باستعلاء واستكبار.

حلم 64

من شدة الرعب تسمرت قدماى فى الأرض، فعلى بعد ذراع منى شبت ثلاثة كلاب ضخمة متوحشة تريد أن تنقض على لتفتك بى لولا أن قبضت على أذيالها امرأة باستماتة.

والى اليمين وقفت كلبة فى ريعان الشباب، آية فى غزارة الشعر وبياضه ونعومته وكانت تشاهد ما يحدث فى قلق تجلى فى اهتزازات ذيلها القصير المقصوص.

وارتفع نباح الكلاب الثلاثة وتتابع كالرعد واشتعلت في أعينها الرغبة المتأججة في الفتك بي ولما تعذر عليها الوصول إلى استدارت فجأة ووثبت على المرأة وعذ ذلك اقتلع الرعب قلبي وارتمت على الكلاب. أما الكلبة الجميلة فتطلعت لي مدة وترددت لحظة عابرة ثم ألقت بنفسها في المعركة دون مبالاة بالعواقب.

حلم 65

انقضى العام الدراسي وأعلن عن يوم الامتحان. ولم نكن فتحنا كتابا ولا حفظنا جملة توجب التفكير فيما ينبغي عمله. وثمة قلة كانت ما تزال تحتفظ بشئ من الاحترام لما هو معقول فقررت الامتناع عن حضور الامتحان.

أما الأخرى فكانت مولعة بالعبث واللامعقول فانتهزت الفرصة المتاحة وعزمت على حضور الامتحان. وفي الصباح الموعد انتظمتنا في الصفوف ولبسنا أقنعة الجدية والاهتمام. وإذا برئيس اللجنة يقوم ويقول بصوت جهوري إنه سيوزع علينا ورقتين إحداهما تحوي الأسئلة والأخرى تحوي الإجابات الصحيحة. وذهلنا حقا فلم نكن نتصور أن بين أسألتنا من يفوقنا في حب العبث واللامعقول.

حلم 66

تم التفاهم بيني وبين المالك ودعاني الرجل لمعاينة ما تم التفاهم عليه أراني شقة ممتازة وزوجته الحسنة وابنها وهو طفل في الثالثة. وطابت نفسي بما رأيت وتحدد موعد الساعة التاسعة من صباح اليوم الثاني للتسليم والتسلم. لكنني في الحقيقة لم أستطع صبرا.

ودفعتني قوة لا تقاوم للذهاب إلى الشقة. وكان الذي فتح لي الباب هو المالك نفسه. ولما رأيته تار غضبه وصفق الباب في وجهي بغضب ارتجت له الجدران، وبت ليلة مسهدة أتساءل بقلق بالغ عن الصفة والمصير.

حلم 67

بناء كبير ستجده في الأصل كان مبنى الوزارة التي كنت موظفا بها ولما رأيت الشباب يعود إليها راودتني نفسي على ارتيادها. في الداخل قابلت نفرا من الزملاء القدامى فانشرح صدرى للقائهم وسرنا من حجرة إلى حجرة ومن ذكرى إلى ذكرى حتى بعثنا الماضي من مرقده. ومررنا بسلم واسع عجيب فصعدت من فوري إلى الطابق الثاني هناك رأيت شبابا كثيرين كلما رأيت أحدهم تجهم وجهه وألقى على نظرة مستنكرة انتفض قلبي وشعرت برغبة في التبول. وبحث هنا وهناك حتى استقرت عيناى على لافتة ترشد إلى دورة مياه في ممر بين الحجرات فهرعت إليه ولكني وجدت عمالا عاكفين على إنجاز مشروع لم يتم تنفيذه لا يصلح للاستعمال رجعت من حيث أتيت. وسرعان ما اكتشفت بأنه لا سبيل إلى الفرج إلا بالعودة إلى الطريق.

حلم 68

ما أجمل هذا المكان. إن سماءه وأرضه وما بينهما تتألق بلون الورد الأبيض. وجوه آية في النقاء والصفاء. أما معجزته الحقيقية فهي أنه جمع أصدقاء العمر الأحياء منهم والأموات دون أن يثير ذلك دهشة أحد. فلا نحن سألناهم عما وجدوا في العالم الآخر ولا هم سألونا عما حدث في الدنيا عقب رحيلهم.

ولكننا وجدنا أنفسنا جميعا في اللهو متمنين أن تدوم الحال، غير أن الحال لم تدم إذ هبطت من السماء سحابة سوداء، حتى ساد الظلام وفرق بيننا، وانهمر مطر مثل الشلالات وتتابع البرق والرعد دون هدنة حتى بلغت القلوب الحناجر.

وهنا تسلل لأذني أصوات بعض الأصدقاء.

قال الأول: إنها النهاية.

وقال الثاني: إني لمحت عند الأفق قبسا من الفرج.

وقال الثالث: مهما يكن من الأمر فلا مفر من الحساب.

حلم 69

هذه غابة تتوسطها هضبة هرمية الشكل، يُصعد إليها من خلال ممرات حجرية مدرجة مزينة بصفوف النخيل وأحواض الزهور وجواسق العاشقين. خلوت إلى صاحبتى، وسبحنا معا في مناجاة غيبية عن وعينا الوجود، وبغثة انتشرت صاحبتى واقفة وفي غمضة عين غادرت الجوسق. وقمت لألحق بها وأطمئن عليها فاعترضني صوت كالرعد ينطلق من مكبر صوت ويحذر الناس من وجود قنبلة زمنية ويدعوهم إلى مغادرة الهضبة بلا إبطاء ولا تردد، واندفع الناس نحو الممرات الحجرية وأنا أتلفت، وجمعنا رجال الأمن في موضع على بعد آمن، وبحثت عن صاحبتى فلم أعثر لها على أثر. ترى أين اختفت؟ وهل ثمة علاقة بينها وبين الجريمة؟ ألا يجزئني ذلك إلى الإتهام رغم براءتى؟

وسمعت أقرب الواقفين إلى وهو يقول لصاحبتة إن قلبه يحدثه بأن المسألة ليست أكثر من بلاغ كاذب. وسألت الله أن يصدق حدس الرجل ولكنى لبثت ممزقا بين التفكير في صاحبتى وتوقع الانفجار!

حلم 70

ناداني الشوق لرؤية الأحباب فتوجهت صوب الحي العتيق. وكالعادة قطعت الطريق مشيا على الأقدام حتى بدا لي البيت القديم وذكرياته. ولم أضيّع وقتا فأخذت في الصعود نحو الطابق الثالث والأخير. ولكن دهمني إرهاق غير يسير عند منتصف السلم جعلني أفكر في تأجيل الرحلة لولا أن طبعي يأبى التراجع وبجهد جهيد واصلت الصعود حتى بلغت البسطة الثالثة. ومن موقعي الجديد لاح لي باب الشقة غارقا في الصمت والسكون، فعلمت أنه لم يبق من الصعود سوى عشر درجات هن ختام السلم لكنى لم أر درجة واحدة، ووجدت مكانها هوة عميقة فخفق قلبي خوفا على آل البيت.

ومع أن الوصول بات متعذرا إلا أنى لم ألتفت إلى الوراء، ولم أفكر فى التراجع، بل ولم أفقد الأمل. وجعلت
ألصق بصرى بالباب الغارق فى الصمت والسكون وأنا أنادى، وأنادى، وأنادى من الأعماق.

حلم 71

كان أجمل ما فى عهد شبابنا صديق نادر المثال. أية فى خفة الروح وحلاوة النكتة ورشاقة القفشة وبراعة
القافية وثراء الحكايات، والنوادر وإلى ذلك كله لم يكن يضمن علينا عند الطلب بالغناء والرقص وسائر فنون
اللهو. هكذا أمتعنا دهرًا حتى وقع عليه الاختيار لشغل وظيفة مرموقة عرفت فى بلادنا بالجلال والوقار.
وتوجسنا خيفة، و سرعان ما تحقق تخوفنا فقال لنا وكأنه يرد عنا إنه قرر تغيير حياته من الألف إلى الياء
ولم يراجع أحد وسلمنا أمرنا لله.

وكان إذا قابلنا فى مناسبة حيانا بوقار شديد يعمق شعورنا بالغربة والأسى .

ووهنت العلاقة الحميمة وقاربت التلاشى، ولم نعد نسمع عنه إلا فى نشرة التنقلات والترقيات. وأخذنا
نتناسى حتى نسيناه أو كدنا. وباعد الزمن بيننا وبينه حتى شاء القدر أن نلتقى على غير ميعاد ذلك عندما
احتفلت البلاد بعيدها القومى الجديد. خرجنا للمشاركة والفرحة.

وعزفت الموسيقى النحاسية ودقت الطبول. وتقدمت فرقة من الجيش تبعثها فرقة من الشرطة تبعثها سيارات
الصفوة وهنا طالعنا صديقنا القديم ولكن على حال لم تجئ لنا فى خاطر. رأيناه يمتطى حمارا. ويتجلى
التناقض صارخا بين تفاهة موكبه وفخامة ملبسه. وكان يثير الضحك أينما ظهر. لكنه والحق يقال لم يلتفت
بمئة ولا بسرة، ولا حاد شعرة عن وقاره.

حلم 72

امتأ البيت القديم بالعباسية بالطيور المهاجرة من الإخوة والأخوات فى اليوم المتفق عليه لزيارة الوالدة،
وطلبوا منى إعداد أكلة سمك من سماك العباسية المشهور. ذهبت من قورى إلى المطعم وطلبت الطلب
ووجدت جميع الموائد مشغولة إلا المائدة التى تلى الباب مباشرة فذهبت إليها وجلست على كرسي فى
طرفها أنتظر. وجاءت سيدة فى الستين مصطحبة معها فتاة فى العشرين وجلستا إلى المائدة، وجاء النادل
بالأطباق والطواجن. وعلى خلاف المعهود دعتنى السيدة لمشاركتها الطعام، وبخلاف المتوقع لبيت الدعوة
صامتا وبدأت فى تناول الطعام، وسرعان ما جاء النادل باللقافة المعدة للمنزل فتناولتها وانسحبت من المائدة
دون اعتذار أو شكر وخرجت من المطعم فرأيت على بعد ذراع صديقى المرحوم ع. ش وسررت برؤياه
سرورا كبيرا. وعلى سبيل المجاملة قدمت له اللقافة لكنه أخذها بلهفة ومضى دون أن ينبس بكلمة إلى باب
مفتوح فدخله وأغلقه. وأدهشنى بتصرفه ولكنى لم أجد مناصا من تجديد الطلب فرجعت إلى المطعم وجددت
الطلب. وكان النادل يحمل الحلوى إلى السيدة والفتاة. ودعتنى للمشاركة فذهبت دون تردد، وهنا قالت السيدة
أنها ترغب فى الذهاب إلى شارع بين السرايات ولكنها لا تدري كيف السبيل إليه، فتطوعت بتوصيلها وسار
ثلاثتنا فى شارع العباسية. وتم التعارف بالشكر وتفرع الحديث بنا واستحوذ على حتى أنى مررت بشارع

بين السرايات دون أن أنتبه لذلك، كما نسيت الطعام الذي يجهز لي في المطعم وكما نسيت المنتظرين والمنتظرات في البيت القديم بالعباسية.

حلم 73

وجدتني في البيت القديم بالعباسية، ويبدو أنني كنت متذكر المزاج فلم يسلم من نقدي شيء مثل طلاء الجدران وخشب الأرضية والأثاث حتى جاءني صوت أمي من أقصى الشقة وهو يقول بنبرة باسملة لطيفة: إنه آن الأوان كي أبحث بنفسى عن شقة جديدة تعجبنى.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني في بهو متعدد الحجرات والأشخاص، يوحي منظره بأنه مصلحة حكومية. وأكد ذلك مجئ زميلى المرحوم ح. أليخبرنى بأن الوزير أرسل فى طلبى، وذهبت من فورى إلى حجرة الوزير واستأذنا ودخلت. ورأيت الوزير على غير عادته من البشاشة وقال لى أنه علم بنقدى للثورة وزعيمها فسأه ذلك فقلت له إنى أعتبر نفسى متيماً بمبادئ الثورة ولم أكن من رافضيتها غير أنى تمنيت دائماً لها الكمال وتجنب العثرات والنكسات.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني صبيها يتجول فى ميدان بيت القاضى، وجاءنى صديق فى مثل سننى يدعونى لحضور حفل زفاف شقيقه الأكبر، وقال إن شقيقه دعا سعد زغلول ليشرف الفرح ويباركه وأنه قبل الدعوة ووعد بالحضور. فدهشت دهشة كبرى وقلت له بأن سعد زغلول هو زعيم الأمة فضلاً عن أنه اليوم رئيس وزرائها. وأنتم لستم من أقربائه ولا من زملائه فى جهاده، فقال إن سعد هو زعيم الأمة حقاً ويخص البسطاء بوافر الحب وإننى سوف أرى.

وفى الميعاد ذهبت إلى الحفل فى درب قرمز ومضى بى صديقى إلى حجرة فرأيت فى الصدر سعد زغلول فى بدلة التشريفية يجلس معه ويتوسط معهما فى الحديث ويشاركهما الضحك، بهرت بما رأيت انبهاراً استقر فى أعماقى.

حلم 74

هذا ملعب كبير حل محل بيوت الجيران فى الجانب المقابل من الطريق يملأه الجنود البريطانيون، فيغنون ويرقصون. ونحن نتابعهم بدهشة وقلق، ثم ينتشرون فى شارعنا والشوارع المتفرعة منه.

وتشاورنا فى الأمر واستقر رأينا على الانتقال إلى حى آخر، ولما لم نجد بيتاً مستقلاً رضيعنا بشقة فى عمارة ضخمة ولم نضن بجهد حتى جعلناها صالحة للمعيشة، وما كدنا نركن إلى شيء من الراحة حتى سمعنا صوت خرفشة مما يصدر عادة من القتران فتعكر صفو راحتنا. وقبل أن نفكر فى شيء ينبغى عمله سمعنا طرقات الباب الخارجى. ولما فتحت الباب رأيت كثرة من الرجال المسلحين بالعصى، قالوا إنهم سكان العمارة يطاردون لصاً يظنون أنه تسلل إلى شفتنا واقتحموا الشقة وتفرقوا فى الحجرات وأحدثوا جلبة مزعجة، ولكنهم أعلنوا أنهم لم يعثروا على اللص، وغادروا المكان بعد أن قلبوه رأساً على عقب. بل واكتشفنا اختفاء اللص المتخفى، وبينما نحن نتبادل النظر فى غيظ وضيق إذ سمعنا من جديد صوت الخرفشة. فثرت غضباً وقلت ليكن فأراً أو لصاً أو عفريتاً قلن أفتح الباب للطارق.

حلم 75

أمى ترحب بجارة عزيزة وكريمتها الحسناء فى حجرة المعيشة بالدور الثالث فى بيتنا القديم، ودعيت للجلوس معهن ثقة فى الألفة بين الأسرتين.

وفى أثناء الحوار استرقت إلى الفتاة نظرة واسترقت إلى نظرة دون أن يغيب هذا عن أم الفتاة، فلما ذهبت أمى فى الابتعاد عن الغرفة همست لنا الجارة أن انزلا إذا شئتما إلى الدور التحتانى الآن كعادة من أهل البيت، وتلقيت الدعوة بذهول وبفرح شامل. وما أن دخلنا الدور التحتانى حتى جذبتها إلى صدرى، ولكنى لم أخط الخطوة التالية لسماع ضجة غريبة. واقتحم المكان نساء ورجال وشباب، وتفرقوا فى الحجرات، ثم جاء رجل من رجال الأمن ووقف عند الباب زاعماً الحفاظ على القانون، وكدت أفقد عقلى من الدهول وضاعف من ذهولى أنى رأيتهم يخنون فى حجرة، كما رأيتهم يرقصون فى حجرة أخرى، ونظرت إلى فتاتى مستغيثاً بها فوجدتها هادئة باسمة. وعند ذلك قررت الهرب، غير أنى رأيت رجل الأمن عند الباب فتسمرت فى وضعى فريسة للذهول وخيبة الأمل.

حلم 76

هذه شجرة مورقة يجلس تحتها صديق الشباب وشهيد الوطنية. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله فإنه بدا أنيقاً فى صحة وعافية. فانشرح صدرى لمراه وهرعت إليه ولكنه أوقفنى بإشارة من عصا بيده، ذكرته بعهد الصداقة فلم يعبأ بكلامى وقال إنه لم يعد يستطيع صبراً مع تل القمامة.

قال ذلك وألقى عصاه ثم ذهب، التقطت العصا وأنا حزين ولكنها بعثت فى روحاً جديدة، فانطلقت من فورى إلى تل القمامة وانهلت ضرباً على أطرافه وكل ضربة أحدثت شقا ومن كل شق يخرج رجال ونساء ليمسوا على شاكلة جامعى القمامة ولكنهم أية فى النظافة والوجاهة والفخامة. وكلما لمح أحدهم العصا بيدي فر يركبه الفرع، عند ذلك رسخ يقين بأن الشمس ستشرق غداً على أرض خضراء وجو نقى.

حلم 77

انعطفت إلى الشارع الجانبى الهادئ حاملاً حقيبتى بيدي، وسرعان ما تلقيت من الطريق سيلاً من الذكريات والأشواق المحفوفة بالقلق والخوف.

وتوقعت عتاباً على غيبتى غير القصيرة واستعددت له بالمعاذير المناسبة.

وبلغت مدخل العمارة. فلاحت لى الشقة الأرضية على بعد أربع درجات من السلم وضغطت على الجرس متطلعا بوجه باسم، وفتحت الشراعة عن وجه رجل غريب فى جلباب منزلى يوحى بأنه صاحب المكان وفجأة هوى وجدانى الملتهب إلى قاعة بحيرة جليدية وفكرت بسرعة فى اختلاق كذبة تنتشلنى من ورطتى فادعيت أنى تهت وأبحث عن سكن فلان أفندى المدرس وأننى ضللت العمارة فقال الرجل وهو يتفرس فى وجهى بارتياب وتحفز:

- هذه شقته وهو فى الداخل فمن حضرتك لأبلغه؟

وأدركت أننى انكشفت وخرست مبهوراً فارتفع صوت الرجل وهو يقول:

- ما أنت إلا كذاب وفاسق مثل جميع من جاءونى قبلك.

ولم أطق المزيد فهرولت نازلاً وكدت أفقد توازنى فسقطت الحقيبة من يدى وانفتحت فظهر داخلها زجاجة نبيذ وكيلو كباب فى طبق من ورق، ولكنى لم أكن أفكر إلا فى أمر واحد وهو أن أختفى فى سرعة البرق.

حلم 78

يالها من جنازة كبيرة، لا أدري كيف انضمت إليها، فإنى لا أعرف أحداً من المشيعين. بل لا أعرف الميت، والأغرب أن الجنازة سلكت طريقاً لم تسلكه الجنازات من قبل، فقد اتجهت نحو شبكة من قضبان السكة الحديد. وعبرنا بها إلى الخلاء حيث توقفت عن السير طلباً للراحة، على حين واصلت القطارات سيرها نحو الشمال ونحو الجنوب وعلا جدل بين الملففين حول النعش. فريق يرى أن يحمله إلى الجنوب. وفريق يريد أن يحمله إلى الشمال، وكلا الفريقين يزعم بأنه ينفذ وصية الراحل، وصاح أحد العارفين يذكر القوم بأن الراحل ولى من أولياء الله الصالحين، وأنه لن يسمح لأحد بحمله إلى جهة لا يرضاها، وأمن القوم على قوله. وجرب فريق الجنوب حظه ولكنه عجز عن حمل النعش وجرب فريق الشمال فمنى أيضاً بالفشل. عند ذاك أدرك الجميع أن ولى الله يأبى أن يغادر الموقع الذى هو فيه وسطاً بين الجنوب والشمال.

حلم 79

جلست فى شرفة الفندق الصغير المطل على البحر. غاب عنى المنظر الجميل لشدة استغراقى فى انتظار فتاتى. ولما طال الانتظار جاءنى مدير الفندق وهو أيضاً صديق صباى واقترح على أن أعالج حالتى بالمشى. ذهبت إلى الشاطئ ورحت أسير ذهاباً وإياباً. وإذا بى ألمح فتاتى فى سباق سباحة مع نفر من الشبان أحدهم مضى بها إلى الصخرة ليسترىحاً بعيداً عن الأعين، تلقيت طعنة فى القلب وغرقت فى إحباط لا قرار له وأدركنى المدير الصديق وقال:

- هذا هو حال الدنيا فلا تستسلم للحزن.

فقلت له:

- أنت تعلم أننى عرفت أشياء كثيرة ولكنى لم أتعلم السباحة، وأخذنى إلى ركن هادئ فى حديقة الفندق، وبقيت ساعة فى غم وهم. وإذا بمفاجأة غير متوقعة بحال، رأيت فتاتى تقبل نحوى متلهلة الوجه بالسعادة، وتوثبت لإفراغ شحنة من غضبى. وإذا بى ألقى مفاجأة جديدة. غير متوقعة وغير مفهومة وتستعصى على أى إدراك، فقد غمرتني بغة فرحة شاملة مسحت عن صدرى الأحزان كلها وكأن ما كان لم يحدث وهكذا تقابلنا كما نتقابل كل مرة، وذهبنا للتجول فى المدينة كالعادة، ولما مررنا بمحل بيع الهدايا دخلنا دون تردد

واتجهنا إلى القسم المخصص لهدايا الخطوبة والأفراح، وقلبت فتاتي عينيها في الهدايا التي لا تحصى وقالت:

- ليس لدينا من الوقت ما يكفي.

فقلت ببراءة:

- لدينا وقت يكفي للأبد.

حلم 80

جمعتنا الحجرة القديمة أنا وأمي وأخواتي الأربع وما أن أغلق الباب علينا حتى تصاعدت الشكوى من الزمان والناس، فأقبلت أمي على قلقة وأقسمت بكل يمين أنه ما من قول قالته أو فعل فعلته إلا بدافع الحب الخالص فتساءلت أصوات: إذا كيف حدث ما حدث؟

فقالت أمي بعتاب: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم أيضاً وألا تقولوا معي إنه المقدر والمكتوب.

حلم 81

أخيراً ذهبت إلى القصر ورجوت البواب أن يبلغ الهانم أن الفائز بجائزتها حاضر ليقدم الشكر بنفسه إذا تنازلت وسمحت بذلك ورجع الرجل بعد قليل وتقدمني إلى بهو راعني جماله وضخامته ولم تلبث أن عزفت الموسيقى لحن الإقبال فأقبلت الهانم تتهادى في أبعادها الفئانة فقامت لألقي خطاب الشكر ولكنها بحركة رشيقة من يديها كشفت عن ثدييها وأخذت من بينهما مسدساً أنيقاً وصوبته نحوي فنسيت الخطاب. وأخذت أنصهر من قبل أن تلمس الهانم زناد المسدس.

حلم 82

أسعدني جداً أن يتولى شئون المؤسسة المدير الجديد على الرغم من أنني لم أشارك في انتخابه. ولكن كلما أتيت عليه، تصدى لي إخوان بالسخرية، فسرت حائراً بين الإعجاب من ناحية والسخرية من ناحية أخرى ولكنني رفضت اليأس رفضاً تاماً.

حلم 83

رأيت الكارثة مقبلة حاملة فاتنة درب قرمز ويجرها جواد مجنح، اتخذت مجلسي فيما وراءها وفرد الجواد جناحيه فابتدأت ترتفع حتى علت الأسطح والمآذن، وفي ثوان وصلنا قمة الهرم الأكبر وأخذنا في عبوره على ارتفاع ذراع، فجازفت وقفزت إلى قمته وعيناي لا تتحولان عن الفاتنة وهي تعلو وتصعد، والليل يهبط والظلام يمسود حتى استقرت كوكبا مضيئاً.

حلم 84

رأيتني في شارع الحب كما اعتدت أن أسمىه في الشباب والأمل. ورأيتني أهيمن بين القصور والحدائق وعبير الزهور. ولكن أين قصر معبودتي؟ لم يبق منه أثر. وحل محله جامع جليل الأبعاد. رائع المعمار. ذو منئذنة هي غاية في الطول والرشاقة. ودهشت. وبينما أنا غارق في دهشتي انطلق الأذان داعياً إلى صلاة المغرب. دون تردد دخلت الجامع. وصليت مع المصلين ولما ختمت الصلاة تباطأت كأنما لا أريد في مغادرة المكان. لذلك كنت آخر الراحلين إلى الباب. وهناك اكتشفت أن حذائي قد فقد. وأن عليّ أن أجد لنفسي مخرجاً.

حلم 85

هذه محطة ترام وأنا حائر بين أبعادها لانتظار مجيئ ترام ما، ولكن ترقبى لسطوع القمر في النافذة المطلة على المحطة حيث أختلس نظرة بعد نظرة. وأتمادى في الطلب وما أكثر الأصدقاء الذين يسألونني. حتى متى تبقى وحشتي. ولكن أنا في رحلة لا مفر منها كأنها قضاء وقدر، والحق أنها رحلة شاقة مرهقة وأطول مما تصورت وعند العودة لم يتبين لي إلا قفص مربع هو النافذة ووجدتها بموضعها ولكنها بدت واجمة لا تستجيب ولا تجيب، وكما كنت بالأمس، وقفت تحت النافذة منتظراً غير عابئ بالمارة وأخيراً هبط على صوت حديث كالهيمس يتخلله ضحك مكتوم.

ثم سمعت صوتاً يتساءل :

- ما حكاية الرجل الذي يقف تحت النافذة؟

فأجابه صوت ضحكها.

- إنه يبكي عن ذكرى حبيب ومنزل.

حلم 86

كلفتم بحمل رسالة إلى المرحوم الدكتور حسين فوزي، فقلت له إن معي عرضاً لإعادته في الخدمة مع زيادة ملموسة في الراتب. وتخصيص حجرة فاخرة لمقامك .

ضحك الدكتور وقال إنه لا يهتم الراتب ولا الحجرة، ولكن يهتم احترام فكره وكرامته.

ورجعت وفي يقيني أن مهمتي قد فشلت.

حلم 87

في الصباح الباكر اكتشفت الجريمة الوحشية. وما لبثت وحشيتها أن صارت حكاية على كل لسان. ولكني لم أجد موضعاً للاختباء إذ أن المكان كله يتقاسمه رجال الشرطة وطببيات المرض النفسي. وأصبحت فريسة للقلق حتى استدعيتني إلى حجرتها كبيرة الطببيات. وقالت لي الأكثرية هنا يفسرون وحشية هذه الجريمة بالقسوة الكامنة في طبيعة القاتل. أما أنا فأفسرها بقلة خبرته وجهله للأصول العلمية الحديثة لفن القتل. لذلك قررت إلحاقه بالمعهد العصري للجريمة. والله ولي التوفيق!

حلم 88

في قريتنا كل فرد ينتظر رسالة قد تقرر مصيره. وذات يوم تلقيت رسالتي فقرأت فيها أن الحكم صدر بإعدامي شنقاً. وذاع الخبر كعادة تقاليدنا. فاجتمع أعضاء نادي القرية وقرروا الاحتفال بالأمر في حينه أما في بيتي حيث أعيش مع أمي وإخوتي وأخواتي فقد انشروحت الصدور وعم السرور. وفي اليوم المنتظر دقت في النادي الطبول. وخرجت أنا من بيتي في أحسن زينة محاطاً بأفراد أسرتي، ولكن أمي شذت عن حالنا فدمعت عيناها وتمنت لو كان العمر امتد بأبي حتى يشهد بنفسه هذا اليوم السعيد.

حلم 89

من موقعي في الحديقة رأيت سيدة في الستين مقبلة نحوي متجهمة الوجه وقالت بتبرة غاضبة:

- بسببك خسرت الجائزة.

وتذكرت السيدة ووجهها الحزين ولكني لم أفهم لقولها معنى واستمرت تقول:

- اللجنة استبعدت قصتي بحجة أنها نسخة من قصتك المطبوعة منذ أربعين سنة.

وضح كل شيء وعرفت أن الحظ السيئ ما زال يتعقب المرأة وواصلت حديثها.

- أقسمت لهم أن قصتي لا يجوز أن تتهم لسبب بسيط وهو أنها قصة حياتي.

فقلت بانفعال:

- صدقت، أنا اقتبست قصتي من واقع حياتك الذي شاركت فيه أسوأ مشاركة.

فقلت وهي تضحك بسخرية:

- فرصة أن أكون ضحية لك في واقع الحياة لا في الخيال.

حلم 90

تم بناء البيت فكان تحفة معمارية جاء إليها الناس من جميع الأطراف وكل يأمل امتلاكها. وكثرت المساومات واشتد الجدل حتى شق الجموع عملاق وهو يقول بصوت جهير: إن القوة هي الحل. ووجم الناس إلا واحدا تصدى له فقامت بينهما معركة حامية حتى تمكن العملاق من توجيه ضربة إلى رأس خصمه فهوى فاقد الوعي ثم اقتحم العملاق البيت وأغلق البيت بإحكام. وتمر الساعات فلا يفتح في البيت منفذ انقواء للانقواء أما الواقفون في الخارج فلم يأتوا بحركة مجدية ولكنهم في الوقت ذاته لم يتفرقوا.

حلم 91

في البدء كانت العربة. كنت أدفعها أمامي بقوة ومرح. وذات يوم وجدت على سطح العربة طفلة فازدبت نشاطاً ومرحاً وتتابع القادمون حتى غطوا السطح فاستنفدوا قوتي ومرحي. وشعر الراكبون بمعاناتي فعزمت على ترك العربة حالما تسنح فرصة طيبة. وبمرور الأيام خلا السطح، رجع إلى أصله. أما أنا فلم أرجع بل ازدبت ضعفاً وأخيراً ركنت العربة وركدت إلى جانبها.

حلم 92

وجدت نفسي في بهو جميل، وبين يديّ وعاء ذهبي ملئ بما لذ وطاب.

فذكرني هذا بسمار الليالي من أصدقاء العمر الراحلين، وإذا بي أراهم مقبلين تسبقهم ضحكاتهم المجلجلة. فتبادلنا السلام وأثنوا على الوعاء وما فيه. غير أن سعادتي انطفأت فجأة وصارحتهم بأنني لن أستطيع مشاركتهم حيث منعني الأطباء من التدخين منعاً باتاً، وبدت الدهشة على وجوههم ثم ركزوا أبصارهم في وجهي وتساءلوا ساخرين:

- أما زلت تخاف من الموت؟!

حلم 93

على سطح بيت قريب رأيت أثاثاً يرتب وينمق فسألت، قيل لي إن صاحب ذلك البيت حول بيته إلى معهد ثقافي بالمجان قانعاً بالمعيشة فوق السطح فأعجبت به وأكبرته وعزمت على حضور بعض دروسه ووجدت المكان غاصاً بالبشر وقال الرجل إن درس اليوم سيكون عن الثور الذي يحمل على قرنه الأرض، وصدمني قوله بشدة ففرت مني ضحكة ساخرة فاتجهت نحوى الوجوه شاخصة بالغضب. أما الرجل فرماني بنظرة عابسة وهو يشير صامتاً إلى باب الخروج.

حلم 94

خمسة انقضوا على شاهرين المطاوي فسلبوا نقودي وفروا بسرعة مذهلة ولكن بعض ملامحهم انطبعت على ذاكرتي ومنذ وقوع هذا الحادث تجنبت المشي منفرداً في الشوارع الجانبية غير أن الشارع الرئيسي لم يكن يخلو من متاعب. فذات يوم وجدت المرور متوقفاً والناس متكديسين على الجانبين وما لبث أن جاء

طابور من سيارات عديدة ولما مر أمام ناظرى مؤخرة الطابور لمحت وجهها انشق لمرآه قلبى فجعلت
أنطق: يخلق من الشبه أربعين.

حلم 95

تمت الموافقة على بدء الرحلة فتلقى الأهل الخبر بالرضى ومارعوا إلى إمدادى بالمال فذهبت من فوري
إلى التزرى لتفصيل بدلة على أحدث موضحة وقام الرجل بعمله كأحسن ما يكون ولم يكتف بذلك. بل جاء
بعمامة أنيقة ووضعها على رأسى وهو يقول: إنه بذلك تصبح البدلة على أحدث موضحة.

حلم 96

اشتد العراك فى جانب الطريق حتى غطت ضجته ضوضاء المواصلات ورجعت إلى البيت متعبا وهناك
تاقت نفسى إلى التخفف من التعب تحت مياه الدش فدخلت الحمام فوجدت فتاتى تجفف جسدها العارى
فتغيرت تغيرا كليا واندفعت نحوها ولكنها دفعتنى بعيدا وهى تنبهنى إلى أن ضجة العراك تقترب من بيتى.

حلم 97

هذه حجرة السكرتارية حيث أمضيت عمرا قبل إحالتى إلى المعاش وحيث زاملت نخبة من الموظفين شاء
القدر أن أشيع جنازاتهم جميعا واسترقت نظرة من داخل الحجرة لأرى من خلفونا من الشباب فكدت أن
أصعق لأنى لم أر سوى زملائى القدامى واندفعت إلى الداخل هاتفا سلام الله على الأحباب متوقعا ذهولا
واضطرابا ولكن أحدا لم يرفع رأسه عن أوراقه فارتددت إلى نفسى محبطا تعسا ولما حان وقت الانصراف
غادروا مكاتبهم دون أن يلتفت أحد نحوى بما فيهم المترجمة الحسنة ووجدت نفسى وحيدا فى حجرة خالية.

حلم 98

من موقفى على الطوار أرسلت بصرى إلى الحديقة من خلال قضبان السور الحديدية، وهناك رأيت مالكة
فؤادى وهى توزع شيكولاته على المحبين فاندفعت جهة باب السور حتى بلغت مدخل الحديقة وأنا ألهث
وواصلت الجرى فى الداخل ولكنى لم أعثر للمحبة على أثر فتهتفت بحدة لاعنا الحب. وحانت منى التفاتة
إلى الخارج فرأيت الفتاة فى الموضع الذى كنت فيه وهى تتأبط ذراع شاب بدا أنه خطيبها، وهممت
بالرجوع من حيث أتيت ولكن أقعدنى الإرهاق وطول المساءلة وفوات الفرصة.

حلم 99

هذا فناء مستدير تتوسطه نخلة رشيقة وتقوم فى جوانبه بيوت صغيرة وعند العصارى تفتح الأبواب وتخرج
النساء للسمر تحت النخلة ويدور الحديث غالبا حول البنات والزواج، وأنزوى أنا بعيدا لأتابع الحديث بشغف
وعندما يهبط المغيب يعضنى الجوع ولم يكن يعلم بحالى سوى صديقة طفولتى تتسلل إلى حاملة طبقا
صغيرا نصفه مملوء بالجبن البيضاء والنصف الآخر مفروش بالبقدونس وتتعاون معا على معالجة الجوع
على أنغام حديث الزواج.

حلم 100

هذه محكمة وهذه منصدة يجلس عليها قاض واحد وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا لمعرفة المسئول عما حاق بنا، ولكنى أحبطت عندما دار الحديث بين القاضى والزعماء بلغة لم أسمعها من قبل حتى اعتدل القاضى فى جلسته استعدادا لإعلان الحكم باللغة العربية، فاسترددت للأمام ولكن القاضى أشار إلىّ أنا ونطق بحكم الإعدام فصرخت منبها إياه بأننى خارج القضية وأنى جئت بمحض اختيارى لأكون مجرد متفرج، ولكن لم يعبأ أحد بصراخى.

حلم 101

زيّنا البيت ترحيبا بالابن العائد بعد غياب، أصبح فيه نجما من نجوم المجتمع وأمضينا السهرة فى الشرفة التى تمد الشقة بالمنظر الجميل والهواء النقى وأتحفنا العائد بالأشعار والألحان حتى انتصف الليل وفى الصباح وجدت مدخل الشرفة مسدودا بدولاب عملاق فخلجت، ولكن الابن لم يخف حزنه إذ ثبت له أن اناسا من صميم أسرته لا يستلطفون وجوده ويكرهون عمله الجميل.

حلم 102

أخيرا اهتديت إلى مأوى فى الدور التحتانى من بيت قديم ولكن سرعان ما ضقت برطوبته وسوء مرافقه فسعيت من جديد حتى نقلت إلى الدور فوقانى وهو أفضل من جميع النواحي غير أن السماء أمطرت بغزارة غير معهودة فانسابت المياه من الأسقف فاضطررنا إلى تكويم العفش وتغطيته بالأكلمة وغادرنا الشقة إلى بير المسلم فشرع بنا ساكن الدور التحتانى الجديد فخرج إلينا ودعانا بالحاح وبشدة إلى الداخل حيث الدفء والرعاية.

حلم 103

ماذا جرى لبيتنا؟ جميع المقاعد تلاصقت وسمرت قوائمها فى الأرض وخلت الأسقف من المصابيح والجدران من الصور والأرض من السجاجيد فماذا جرى لبيتنا؟

قالوا بأنه إجراء لتأمين البيت لتعدد حوادث السطو على المنازل فقلت دون تردد إن السطو أحب إلى من القبح والفوضى.

حلم 104

رأيتنى فى حى العباسية أتجول فى رحاب الذكريات وذكرت بصفة خاصة المرحومة عين فاتصلت بتليفونها ودعوتها إلى مقابلتى عند المسبيل وهناك رحبت بها بقلب مشوق واقترحت عليها أن نقضى سهرتنا فى الفيشاوى كالزمان الأول وعندما بلغنا المقهى خف إلينا المرحوم المعلم القديم ورحب بنا غير أنه عتب على

المرحومة عين طول غيابها فقالت إن الذى منعها عن الحضور هو الموت فلم يقبل هذا الاعتذار وقال إن الموت لا يستطيع أن يفرق بين الأحبة.

حلم 105

جميع الرجال فى حيتنا يحلقون رؤوسهم فى صالون عم عبده انجذابا للحسنة الجالسة خلف صندوق النقود وتمنينا جميعا أن تتحسن حالتنا المالية فتحلق ذقوننا كل صباح فى رحاب الجمال وذات يوم وجدتني أسير فى طريق متألق الجمال والنقاء وإذا الحسناء مقبلة نحوى من بُعد قريب حتى إذا حاذتني التفتت إلى فجأة وأخرجت لى لسانها وبسرعة مذهلة تحول وجهها إلى كتلة خشبية سمكة ملونة فذعرت وسارعت مبتعدة غير أنه ترمى إلى صوت ضحك فنظرت ناحيته فرأيت الحسناء تراقص الأسطي وهما فى غاية الحيوية والمرح.

حلم 106

غزا الوزارة نبأ بأن انقلابا قد وقع فى الصباح الباكر فتجمع الموظفون حول التليفزيون واستمعنا إلى البيان الأول فقال موظف قديم أنه سمع هذا البيان فى مطلع شبابه أما أنا فاكشفت فى زعيم الانقلاب صديقا حميما ومن فرحتى أعلنت الخبر فأسر لى صديق بأن الحياة سوف تضحك لى، فقال الموظف القديم أنه قد تضحك لى الدنيا وقد أعدم بدون محاكمة.

حلم 107

ياله من ترام عجيب فى حقيقته يرقد نعش كتب عليه أن هذه جنازة فلان تنفيذا لوصيته وفلان زميل قديم اشتهر بتجدد حظه السيئ فعلى كثرة مؤلفاته لا يكاد يعرفه قارئ وجاء المشيعون والمتفرجون حتى بلغ الترام المدافن وسط مظاهرة لم تشهدها جنازة من قبل وما جاء المساء حتى كان اسم الراحل يتردد على كل لسان.

حلم 108

غادرت القطار الجميل وقلبي مفعم بالأشواق ولكنى وجدت نفسى فى خلاء مخيف فأين إذن الحديقة التى لا يوجد مثلها فى البلاد. وأدركنى رجل وجيه تذكرت وجه الرجل الذى تزوج من حبيبتي منذ سنوات فاعتذر عن التأخير فى بدء العمل لتعاقب الحروب وأكد أن رأى استقر نهائيا على أن يعود هذا الأسبوع وعلى أن يتم عمله فى شهر واحد تعود بعده الحياة لأجمل حديقة فى الوجود، وبخلاف المتوقع فإننى صدقته أملا أن يجئ يوم تجمع الحديقة بينى وبين حبيبتي كما جمع بيننا حى واحد فى الزمان الأول.

حلم 109

هذا تلميذى يتلقى عنى علوم الموسيقى والألحان وسرعان ما أصبح تلميذى نجما ثريا وظللت أنا فى الظل منسيا فتركت عملى الجميل الشاق واشتغلت بتدريس الآثار، وكف تلميذى عن التعلم والعلم وأدمن

المخدرات و عرض صوته للتلف وحدث أن جمعنا حفل ساهر فلا هو عرفنى ولا أنا عرفته وأخذت أتساءل مع كثيرين عن تدهورنا وما جرى لنا.

حلم 110

إنه مشوار مرهق وعند نهايته وجدت بوابة الفتوح مغلقة فاستجمعت قواى وجعلت أرفعها حتى استجابت فرأيت وراءها بحيرة تنطلق منها صواريخ كلما بلغ صاروخ الفضاء انفجر باعثا من الظلمة وجهها عزيزاً محبوباً، امتلأ الفضاء بالأحبة ومع ذلك فما زلت أنتظر سطوع الوجه الذى علمنى العشق وألهمنى الخلود.

حلم 111

فى الجو غيم وفى الصدور قلق ويترامى إلينا من بعيد صوت لا يتوقف، وقال صاحبه وهو يحذرني بأنهم يستهدفون حياتنا فقلت له إنى عرفت أخيراً سبيل الخلاص ولا أنكر أنه وعر كثير المقاومة ولكن ليس عندي خير منه فأتبعنى إن شئت وتفكر صاحبه طويلاً ثم تبعنى وهو يقول إن الأعمار بيد الله وحده.

حلم 112

يالها من ضوضاء فئمة أصوات متضاربة وخطوات تهرول حيناً وتركض حيناً وصرخة هنا وصرخة هناك، طلقات نارية وامرأة تستغيث بالله. أذهلنى التشابه بين صوتها وصوت المرحومة أمى ومن فورى هرعنا إلى السطوح حيث اجتمع إخوتى وأخواتى وحدثت أختى الأكبر عن الاستغاثة والصوت فقال لى يتيقن بأن الصوت هو صوت أمنا دون غيره وليس آخر يشبهه.

حلم 113

أخيراً حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسى باعتبارى سكرتيه البرلماني ولكنه لم يفهم كلمة من كلامى فحاولت شرح عملى ولكنه نهرنى بحدة وأمر بنقلى من وظيفتى وهكذا بدأت المعاناة فى حياتى ثم شاء القدر أن يجمع بينى وبين الوزير فى مكان غير متوقع وهو السجن وبعد أن أفقت من ذهولى أخذت أذكره بلاقنا الأول وما جرى فيه حتى تذكر وتأسف واعتذر وانتهزت وجودنا فى مكان واحد كى أشرح له عمل السكرتير البرلماني.

حلم 114

جاءت الشغالة الجديدة مصحوبة ببعض أقربائها وكأنهم أرادوا أن يشاهدوا المكان وأهله لتطمئن قلوبهم على ابنتهم الوسيمة، غير أن الوسيمة لم تمكث عندنا إلا نصف يوم ثم ذهبت تاركة فى النفوس غضباً وبلبله حتى كان ذات مساء فرأيتها تخرج من عمارة قريبة وهى على حال من الانحراف الصارخ فصعقتنى الحقيقة الغائبة وأدركت عم كانوا يبحثون فى اللقاء الأول.

حلم 115

فى البدء التهب الخصام حول إصلاح البيت بين الساكنة فى الدور التحتانى ومالكة البيت المقيمة فى الدور
الفوقانى وترامت الأصوات إلى الحارة الصغيرة ففتحت نوافذ وأبواب وأيد البعض مالكة البيت. أما الكثرة
فأيدت الساكنة واحتدم الجدل ثم تطايرت الشتائم حتى أنذر الغضب الأحمر بسفك الدماء.

حلم 116

ذهبت لتهنئة صديق قديم على الوزارة ولكن بخلاف المتوقع قوبلت فى المكتب بفتور واضح ثم طال انتظار
المقابلة دون جدوى فتسلل إلى ظنى أن بعضهم افترى على فرية أفسدت الود القديم، وأخيرا غادرت مجلسى
لا أرى ما بين يدى واستقبلنى زميل يبقى على وده وقال لى: لعنة الله على السنة السوء فسألته ولم لم يقابلنى
ويتحقق من الأمر فقال إنه مضى زمن والقانون معطل اكتفاء بأقوال الشهود.

حلم 117

كنت جالسا فى المقهى وإذا بفتوة الحى يجلس إلى جانبى دون استئذان فرحبت به مرغما فقال: إنه اختارنى
للزواج من ابنته المطلقة فارتعشت أطرافى وقلت: إننى سأتزوج من ابنة عمى فى نهاية الأسبوع فقال
ببساطة وثقة: أنت ستتزوج من ابنتى وأنا سأتزوج من ابنة عمك.

حلم 118

وجدتني فى ميدان محطة الرمل المزدهم دوما بالبشر ولمحت فى ناحيته الرجل الذى تردد كلماته الألوف
وهو يغازل غانية، فهمست فى أذنه: إذا بليتيم فاستتروا. فقال: وهل ثم ستر أقوى من ملابسها.

حلم 119

وصلت إلى المحطة فى الوقت الحرج واتخذت موقعى فى الطابور الممتد إلى شباك التذاكر. وظللنا بين
القاطرة والشباك حتى انطلقت صفارة الإنذار الأخيرة ومازلت على مبعدة من الشباك، وهكذا فاتنى القطار.

حلم 120

قمنا برحلة إلى المملكة التى تغنى بروعتها الشعراء وهناك انضم كل فرد إلى المرشد الذى اختاره ينتقل به
من مشهد إلى مشهد ومن جبل إلى بحيرة ومن متحف إلى مقبرة وقال المرشد: إنه لم يبق من الرحلة إلا
الحديقة البلورية ودعانا إلى شئ من الراحة والتأمل كي لا يصدمنا الانبهار فسألنا: وهل ثم انبهار يفوق ما
شاهدنا من أحياء وأشياء، فابتسم المرشد وواصل السير ونحن فى أثره.

حلم 121

رأيتني أسير في شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا العمارة التي أرى في إحدى شرفاتها السيدة الأنيقة بصحبة زوجها وأبنائها الشبان فلما فتر الهدف ذاب المنظر ذوباناً سحرياً ناعماً حتى اختفى وحل محله شارع العباسية ومازلت أسير نحو العمارة الجديدة التي تطالعني من إحدى نوافذها الفتاة التي لا تُنسى ولكنني وجدت النافذة خالية فقررت الانتظار كالعادة في محطة الترام ولكنني لم أجد للمحطة أثراً ولا لقضبان الترام أثراً على طول الشارع.

حلم 122

الليل سجي فاحتوتنا غرفة وهبتنا الظلمة راحة عابرة وفرحاً حميماً وترامت إلينا من الطريق ضجة فهرعت إلى خصائص النافذة فرأيت قوماً يحدقون بشخص مألوف الهيئة وينهالون عليه باللعنات واللكمات وهو مستسلم لا يقاوم حتى شعرت باللكمات تخرق جسدي.

حلم 123

هذا ميدان الأوبرا وفيه أسير متجهاً نحو مقهى الحرية فأدهشني أن أجدّها خالية من روادها اللهم إلا شخص منكب على قراءة أوراق مبسوطة بين يديه وسرعان ما تبين لي أنه أستاذي الشيخ مصطفى عبد الرازق فانشرح صدري واندفعت نحوه مشتاقاً إلى لقاء حميم غير أنه التفت إليّ متجهاً فهبط قلبي وأشار الأستاذ نحو الأوراق وقال لي: أسف إنه قرأ اسمي بين شهود الإثبات فلم أدر ماذا أقول ولا كيف أعذر.

حلم 124

كثيراً ما اجتمعنا بمكان يقع بين الحقول من ناحية والطريق العام من ناحية أخرى، حتى قال لي صاحبي إن هذا الموقع لا يضمن السلامة في كل الأحوال ومن لحظتها سكن القلق في صدري حتى استيقظت ذات صباح على ضجة وصياح ففقت إلى النافذة فرأيت جموعاً لا يحصرها حصر وجماهير لم أميز فيها سوى الغضب الأحمر.

حلم 125

توجهت إلى مسكني فوجدته يمور بالحركة ولا شيء من الأثاث في موضعه وثمة غلمان وبنات لا أعرفهم يلعبون هنا وهناك دون أن يحسوا بحضورى فانقبض صدري ودلفت إلى الشرفة المطلّة على حديقة قريبة مني وفيها شجرة ضخمة تمتلئ أغصانها بالعصافير المزرققة وكانت الزرققة وحركة العصافير قد أنستني كل شيء غير صوت العصافير وهي تغرد.

حلم 126

ذهبنا لتهنئة الوزير الجديد بوصفنا أصدقاء قدامى فرحب بنا ووجدنا أحياء آخرين فرجعنا معهم إلى عهد الصبا وفي الصباح التالي أذاع الراديو البيان الأول لحركة الجيش وعندما ذهبنا إلى السكرتارية للترحيب قال لنا لا تسهبوا في الترحيب قبل أن تعرفوا القادم.

حلم 127

في حديقة هذه القيا نجتمع مساء للسهر والسمر في حرية شاملة، ولكن صاحب الحديقة تغير فجأة فاستبد بكل شئ فهو يختار موضع الجلسة وموضوع الحديث والأكل والشرب وحسبناها دعابة ولكنه استمر وتمادي فضيقنا به ذرعا غير أننا أخفينا مشاعرنا إكراما للموقف. إلا واحد لم يستطع إخفاء مشاعره وذات مساء انفجر غضبه المكتوم وجن جنونه فصرخ وأخرج من جيبه مسدسا صوبه نحونا بيد مرتجفة فتفرقنا في الحديقة تطاردنا لعناته وشتائمهم.

حلم 128

هذا محل لبيع التحف يتألق نورا وبهجة وتجلس في خدمة ضيوفه شابة آية في الجمال وطفت به حتى صادفني مطعم صغير فتناولت ساندوتشا ودخنت سيجارة في زجاج خفيف لرؤية الشابة الجميلة لكني وجدت مكانها امرأة طاعنة في السن فانتفض صدري وأرسلت ناظري باحثا عن الجميلة فمضيت في حيرة بمرأة فوقها مشهد به صورة عجوز يتوكأ على عصا غليظة قد أعياه المشي والقلب والذاكرة.

حلم 129

مازلت في صباحي مستوصيا بالصبر والعزم والاستمرار حتى بلغت مرتفعاً أوحى إليّ بأخذ شئ من الراحة وهنا لمحت صبياً يكافح للصعود فرق له قلبي ومددت له يدي ولكنه جذبني بقوة لم تجرني في جناحه فهربت أتدحرج ولا أملك لنفسي شيئاً.

حلم 130

صحويت من نومي على أصوات تناديني غير عابئة بوقار الليل وسرعان ما عرفت منها أصوات صديقات الزمان الأول وكن يذكرنني بالميعاد الذي لم أنجزه فتلفحت بالروب وهرولت إلى الخارج ولكني وجدت الشارع خاليا والصمت سائداً.

حلم 131

لقاؤنا في هذا الركن من الغابة وحياتنا طرب مستلهم من المواويل، وسمأونا سحب من دخان رقيق عاطر، ونحن كأننا نائمون أو غافلون وذات يوم اقتحم هدوءنا غناء غريب مجنون الإيقاع شديد الصخب فذهلنا ورأى بعضنا إسكاته ولو بالقوة، على حين أثر البعض التأمل والحكمة، وعلى أية حال فقد استيقظ النائمون وتنبه الغافلون.

حلم 132

هي وأنا ماضيان كالعادة إلى ملهى من الملاهي وفي الطريق استأذن دقيقة ريثما يشتري سجائره ولما رجع لم يجدها فعلم على ظنه أنها سبقته إلى الملهى المتفق عليه فذهب إليه ولكنه لم يجدها فراح ينتقل من ملهى إلى ملهى باحثاً عنها وحتى هذه اللحظة لم يكف عن البحث.

حلم 133

جائزة مقدراها مائة جنيه لم أعرف قبلها من النقود إلا راتبي الصغير فأملت أن تكون الخطوة الأولى في طريق الثراء، فكم من زميل بدأ من الصفر ثم أصبح من كبار الأغنياء وسألت أحدهم عن الوسيلة فضحك وقال لا تسأل عن الوسيلة فلا يجهلها أحد ولكن سل عن الشخص والزمن.

حلم 134

جمعنا المواعيد في الطريق الزراعي فجعلنا ننشد الأشعار ونغني ما طاب لنا من الألحان حتى سرقنا الوقت فغاب قرص الشمس ونحن لا ندري فتذكرنا أنه عند هبوط الظلام يترامى إلينا عواء الذئاب من جهات كثيرة.

حلم 135

اشتقت لرؤية أهلي فانتقلت من فوري إلى البيت القديم وهالني أن أجده غارقاً في الظلام كأنهم استأنسوا بالظلمة فناديتهم معاتباً رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ولكن لم يجبني أحد. رجعت أكرر النداء حتى دمعت عيناى.

حلم 136

رقد جثمان أختي على الفراش ووقفت أمامه ومعى حبيبتي خاشعين على حين تربعت على الفراش صبية جميلة تغنى غناء شجيا وجرى الزمن فأصبح الجثمان الراقد على الفراش هو جثمان حبيبتي ووقفت أنا وأختي أمام الفراش خاشعين وظلت الصبية فى موضعها تغنى غناءها الشجى.

حلم 137

يالها من حديقة لا أول لها ولا آخر يقطر من سمائها الصفاء وتتوارى أرضها تحت الشجر وجلسنا فى ظل شجرة لنأكل ونشرب وإذا بصوت يخبرنا بأن المغنيات والراقصات آتيات آتيات وصوت آخر يحذرنا من الاستماع إلى الأمثال والحكم التى تدم تغلب الدهر وغدر الأيام وقال إن حسبكم هذه الهبات من الأشجار المثقلة ثمارها بالهناء والسرور.

حلم 138

شارع طويل عريض وأنا أسير فيه على مهل غافلاً عما حولى وإذا بيدى تربت على كتفى فالتفت أمامى
فرايت امرأة آية فى الجمال والرشاقة ودهشت، فابتسمت، فابتسمت، فأسرعت نحو بيت أنيق أخضر فاستقر
رأبى على أن أتبعها ولكننى التفت حولى لحظة ليطمئن قلبى وفى هذه اللحظة تدفق جنود الأمن حتى سدوا
الطريق سدا وتعذر على التقدم ولكن عيني لم تتحول قط عن البيت الأنيق الأخضر.

حلم 139

هذا معرض اشتهر بصوره الفنية التى تتغير شكلاً ومضموناً كلما اقترب منها المشاهد، وأول ما طالعنى
صورة غابة آية فى الجلال ولما اقتربت خطوة تلاشت الغابة وحلت محلها صورة امرأة عارية متعددة
المحاسن وعند الخطوة التالية غابت المرأة وظهرت محلها صورة معركة حامية الوطيس اشتعلت فيها كافة
أنواع الأسلحة من الأحجار وحتى الإلكترونات.

حلم 140

هذه امرأة ثرية المحاسن ما إن رأيتها حتى غارلتها وإذا بزوجها ينقض على ويأبى أن يتركنى إلا فى القسم
ولكن تدخل رجل من حينئذ اشتهر بين خاصة معارفه بالدعوة إلى الحرية المطلقة فقررت بعد أن لقننى درساً
لا ينسى، ويتجسد لى كلما قابلت امرأة حتى رأيت نفسى وجها لوجه مع المرأة الجميلة فهمت بالجرى
ولكنها أقبلت على باسمه وتأبطت ذراعى وهى تهمس بأن زوجها اعتنق أخيراً دعوة الحرية المطلقة.

حلم 141

هذا حينئذ القديم وهذا أنا أجول فى أركانه حاملاً فى قلبى ذكرياته ثم خطر لى أن أقيم فى البيت القديم حتى
تخف أزمة المساكن ولكن تبين لى من أول يوم أنه لم يعد صالحاً للحياة الحديثة.

حلم 142

هذه القطعة من الأرض الفضاء هى ميراثى الوحيد وقد أطلق عليها اسم الخرابة لطول ما عانت من إهمالها
وما أن رزقت بعض المال حتى فكرت جاداً فى تعميرها ولكنى لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب
وفساد الذمم حتى سألت جارى الحكيم: ألا يوجد فى الدنيا شخص خير؟ فأجابنى بأنه موجود ولكن يتطلب
العثور عليه عزمًا وشجاعة وبحثًا لا يتوقف.

حلم 143

سمعت صوتاً غير مألوف فمرقت بسرعة إلى فناء العمارة قرأت رجلاً غريباً أثار فى نفسى الريب فناديت
البواب ولفت نظره إلى الرجل الغريب فأخبرنى بهدوء أنه موظف ويؤدى واجبه الرسمى وهو أخذ الزائد
من الأفراد من المساكن المكتظة وينقله إلى مسكن يتسع له فاعترضت قائلاً إنه يأخذ فرداً من أسرة ويخلف
حزناً وينقله على رغمه إلى مكان لا يرحب به فقال البواب بأن هذا هو القانون ونحن لا نملك حياله إلا
الإذعان والتسليم.

حلم 144

نظرت في ظلمات الماضي فرأيت وجه حبيبتي يتألق نوراً بعد أن دام غيابها خمسين سنة فسألتها عن الرسالة التي أرسلتها لها منذ أسبوع فقالت إنها وجدتتها مفعمة بالحب ولكنها لاحظت أن الخط الذي كتبت به ينم عن إصابة كاتبه بداء الخوف من الحياة وبخاصة من الحب والزواج، ولما كنت مصابة بنفس الداء فقد عدلت عن الذهاب إليك وفكرت في النجاة فلذت بالفرار.

حلم 145

هذا مهرجان عظيم جمع العديد من رموز الأمم وناداني رئيس المهرجان وسلمني كرة وهو يقول إنها هدية المهرجان لك، وهي من الذهب الخالص وأنهالت على التهانى ولما رجعت أعلنت نيتي على التبرع بنفس الهدية لأعمال الخير فجاؤوا بمنشار وأخذوا يقسمونها ولما وصل المنشار إلى باطن الكرة دوى المكان بانفجار مزلزل وتطايرت شظايا الضحايا من الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

حلم 146

انقض العدو واشترط لوقف القتال أن يتسلم تمثال النهضة الذهبى المحفوظ في الخزانة التاريخية وذهبت مع فريق لنحضر مفتاح الخزانة المحفوظ بالصندوق الأمين ولما كشفنا غطاء الصندوق تبدي لنا ثعبان مخيف ينذر بالموت كل من يدنو منه فتفرقنا وأنا أدارى فرحتى وأدعو للثعبان بالسلامة والتوفيق في حفظ المفتاح.

حلم 147

دُعيت لاجتماع عاجل لسكان العمارة وهناك أطلعونى على قرار صادر ضدى بإخلاء الشقة ورحت أناشدهم العدل وأناشدهم الرحمة حتى قال لى صاحب العمارة إنه لم يعقد هذا الاجتماع للبحث عن العدل والرحمة ولكن للتأكد من مطابقة القرار للقانون.

حلم 148

اشتدت المنافسة بين القطارات وبين سيارات الطرق الزراعية وأخيرا اجتمع المسؤولون عن القطارات وقرروا تخصيص عربة قطار للعريضة والنساء فى نطاق الحرية المطلقة، كما قرروا إنشاء صالة فى كل عربة قطار للشرب والغناء والرقص ورحت أشرب وأغنى وأرقص منتظرا فرصة للتسلل إلى عربة المسرات.

حلم 149

اجتاحت الثورة المدينة وقتل الملك وهو يدافع عن مدينته وسرعان ما أولمت وليمة فاخرة لقادة الثورة ودعت الملكة زعيمها إلى جناحها الخاص وهناك استقبلته عارية تماما كاشفة عن مفاتنها.

حلم 150

اشتدت الأزمة حتى أشفى التاجر الكبير على الإفلاس ولم يجد من يقرضه في طبقته التي أنهكتها الأزمة ولكن تقدم ببيع العرقسوس بقرض دون فوائد ولما حان وقت السداد بلغت الأزمة ذروتها حتى فكر التاجر في الانتحار ولكن أسعفه ببيع العرقسوس بقرض جيد، وطلب منه أن يعتبر القرضين مهرا لابنته وقالوا إن التاجر وجد أخيرا حلا لأزمته فقال ببيع العرقسوس في سره أنه أيضا وجد حلا لأزمته التي لم يبح بسرها للإنسان.

حلم 151

كنا نجلس حوله للسمر الممتع والمفيد تحت الشجرة ويوما استأذن منا دقيقتين لتناول الدواء وصعد إلى شقته ولكنه غاب فأرسلنا أحدا ليطمئن عليه فوجد الشقة مغلقة بالقفل من الخارج. ومن ثم بدأت رحلة البحث غير المجدية عنه في جميع مناطقه، وأخذ يساورنا القلق يتساوى في ذلك المحبون والكارهون والمستفسرون، أما إمام المسجد فقد دعا إلى أداء صلاة الغائب على روح الغائب.

حلم 152

ذهبت مدعوا إلى الدار الشهيرة في الاحتفال بعيدها الذهبي وهناك وجدت البهو مكتظا بمختلف الطوائف وجميع أصناف الكلاب ووقف الداعي فرحب وشكر ورجع إلى الذكريات التي لا تنسى حين هجم عليهم كلب متوحش وكاد يفتك بهم جميعا لولا أن تصدى له رجل جسور فألقى بنفسه عليه ولأول مرة يعض آدمى كلبا حتى امتص منه وحشيته فتغيرت الطبيعة الكلبية وتغيرت معاملة الكلاب للبشر وهاهم يجلسون جنباً إلى جنب في سلام ويتناولون الحلوى وفي الختام وقفوا جميعا وتغنوا بنشيد بلادي بلادي.

حلم 153

رأيتني في قارب شراعى مع نخبة من صفوة القوم تحرق بنا المياه من كل جانب فانقبض صدرى لجهلى التام بالسباحة وارتفع الموج من صمت عميق ينذر بالانفجار فألقت الصفوة بنفسها في الماء وراحت تسبح بقوة ورشاقة وازددت أنا انتباها وتذكرت الوقت الطويل الذى ضاع فى اللهو وكان بعضه يكفى لتعلم السباحة والتدريب على الإنقاذ من الغرق.

حلم 154

دفعتنى أنا وصديقتى المذيعه أمواج متلاطمة من البشر حتى توقفت فى ميدان صغير أمام سد من البشر لا يسمح بنفاذ إبرة ونظرت فرأيت فى الجهة المقابلة محل الحلواني الذى اعتدت أن أفطر فيه ولكنى لم أستطع الحركة وقلت لصاحبتى إن برنامجها عن النصر سيتعطل قليلا، فقالت: على كل حال أنا عندي خبر مثير، فقد مات فى الزحام المجاهد الكبير مكرم عبيد فحقق قلبى حزنا على موت البطل وهناك رآنى نادى محل الحلواني فوضع بعض الأربعة فى كيس من الورق ووقف على كرسي ورماه من فوق الرؤوس فتلففته

بلهفة وفتحته ولكن يد صاحبتى سبقتنى إليه وهى تهمس بالمعذرة، وأنا أكاد أموت جوعاً، ثم مدت يدي داخله فلم أجد سوى بعض المخال الأفرنجى.

حلم 155

بلغنى أن نزلة برد خفيفة أمت بأستاذى الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق فقررت أن أعوده ولكنى وجدته واقفاً على باب دارى والدموع تنحدر على خديه فهالنى منظره الحكيم إذا بكى وقلت له: يا مولاي ما هى إلا وعكة خفيفة لا تستحق الدموع، فقال لى: أنا لا أبكى على حالى فأدركت ما يعنى من أن البكاء على حالنا نحن وانتهزت الفرصة وسألته عن العباد؟ فقال: عندكم الكثير من الصيدليات مليئة بالأدوية إضافة إلى الوصفات الشعبية المجربة.

حلم 156

أخيراً تتمرت القطعة الوديعه وهاجت رياح الغضب وتساقط الشرر يشعل الحرائق حيثما وقع ولن أجد من أكلمه إلا الرياح فقلت لها عندنا وسائل سلمية كنا على وشك استعمالها، فقالت ما فات وقته تعطل فعله واستمرت زجرة الرياح وتساقط الشرر.

حلم 157

لم يبق فى الحياة إلا أسابيع فهذا ما قرره الفحص الطبى فحزنت حزناً شديداً ثم تملكتنى موجة استهتار فأقبلت أتناول الأطعمة التى حرمها على الأطباء من سنين ولأزمت صديقتى "س" وعرضت عليها الزواج فدهشت وقالت لى: إنك تفقد صداقة بريئة عظيمة ولا تكسب شيئاً فألححت عليها حتى رضخت وبعد يومين جاءنى صديق طبيب يخبرنى بأن هناك أخصائياً عالمياً سيزور مصر وأننا حجزنا لك مكاناً عنده فهيناً لك بفرحة الحياة وغمرنى سرور من رأسى لقدمى غير أننى تذكرت الأطعمة الضارة التى التهمتتها والزواج الذى قيدت به نفسى على غير رغبة فشاب فرحتى كدر وقلق.

حلم 158

كلفنى الوزير بالتنقيب فى مخزن الفن التشكيلى بالوزارة تمهيداً لإقامة معرض فأخذت مجموعة من الفراشين لإزالة الغبار وقتل الحشرات ولاحظت وجود لوحة كبيرة مغطاة فأزحت الغطاء عنها فطالعتنى صورة الزعيم سعد زغلول جالساً على كرسي الرئاسة وشاكاً يديه فوق عصاته. فتأثرت لإهمال الزعيم الذى تربيت فى مدرسته الوطنية وإذا بالحياة تدب فى الصورة فترمش عيناه ويبدل يديه فوق العصا ويتجلى فى عظمة لا مثيل لها وسرعان ما جاءت الوفود من أبناء جيله تحييه وتشكو إليه ما أصابها من ظلم وسرعان ما نسيت تعاليم الوزير والمهمة التى انتدبت لها وانضمت إلى أكبر مجموعة وهى التى كان يتقدمها مصطفى النحاس.

حلم 159

تلقي بعض الحرافيش دعوة من الأستاذ سعد الدين وهبة فذهبنا إلى مقابلته وهناك رحب بنا وأطلعنا على بيان سيرفعه إلى كبار المسؤولين لتطهير الهيئة من الساسة المنحرفين ودعانا إلى التوقيع عليه بامضاءاتنا فاستجبنا بحماس وعند فجر ذلك اليوم اخترق بيوتنا زوار الفجر وساقونا معصوبى الأعين إلى المجهول.

حلم 160

عرفت بمصادفة أنى أستطيع الرؤية خلف الأبواب المغلقة فدهشت وسررت وذهبت إلى البهو فوجدت الإخوان ملتفين حول مائدة القمار ودعتنى الفتاة التى تقدم المشروبات إلى كرسى خال فجلست وأنا مطمئن ونظرت إلى ظهر الأوراق فرأيت باطنها فضمنت الربح ولكن صوتاً قال لى: إن الذى أعطاك هذه الموهبة قادر على استردادها إذا استعملتها فى الشر فانسحبت من الجلسة إلى البوفيه وفى آخر الليل جاءتنى الفتاة لتخبرنى أن الذى كسب المائدة وجد قتيلاً مسروقاً فدهشت ثم قالت الفتاة إنها كرهت هذه المهنة فمددت لها يدي ومدت لى يدها وسرنا معاً دون مقاومة.

حلم 161

فى البدء حامت حولى فتاة صغيرة رشيفة ثم أخذتنى من ذراعى إلى ركن منزو توجد فيه عربة كارو مركبة فيها حمار وصعدت إليها وأشارت إلى فصعدت وتربعت إلى جانبها وتناولت اللجام وحركته بخفة فقد صار الحمار يشق طريقه ببطء شديد وسط زحام الناس والمركبات حتى بلغ الطريق الصحراوى فأخذ يسرع ويسرع حتى سبق السيارات والأوتوبيسات وكأنه يطير طيراً فذهلت وسألت الفتاة: إلى أين؟ فأجابت: إلى المكان الذى تخور فيه قوى الحمار فيتوقف.

حلم 162

قررت أن أسير من جنوب الوادى إلى شماله مشياً على الأقدام وقابلتنى فى أوائل الرحلة رفيقة الطفولة والصبا وقد سمتت سمناً مفرطاً ونصحتنى بأن أتزوج عوضاً عن هذه الرحلة العقيم فشكرتها وواصلت السير حتى قابلت صديقى متربعا على سجادة الصلاة فدهشت وذكرته بأيام العريضة والإلحاد فقال لى: الهداية من الله سبحانه ودعائى إلى الجلوس إلى جانبه فوعده خيراً وواصلت السير وفى منتصف الطريق أقبلت علىّ وحيثنى قائلة: إننى طاردتها بنظراتى حتى استجابت وانتظرت أن تتقدم لأبى ولكنك لم تخط خطوة واحدة بعد النظر فما سر ذلك؟ فقلت لها: إنى مازلت أتساءل مثلك وواصلت السير حتى بلغت الشمال منهاك القوى متورم القدمين فرأيت الحبيبة الخالدة نصفها مغموس فى مياه البحر الأبيض والنصف الأعلى يضى الأمكنة من حوله وسألتنى بصوتها الرخيم ماذا جنيت من هذه الرحلة الشاقة؟ فسألتها بدورى كيف يدوم حب بلا أدنى أمل طوال هذا العمر المرير.

حلم 163

ميدان المستشفى بالعباسية شاهد أول لقاء لى مع الأنسة "ر" واشتعل الحوار بين الحب واليأس حتى حسمته بقولى: الحب وحده لا يكفى، وكان اللقاء الثانى فى جزيرة الشاى ولكنه كان مع الأرملة "ر" التى قصدتنى

لخدمة تتعلق بوظيفتها وأيقظ اللقاء العواطف الكامنة فتطرق الكلام إلى حوار بين الحب من ناحيتي واليأس من ناحيتها حيث كانت ترعى أربعة أبناء وحسنت الحوار بقولها: إن الحب وحده لا يكفي.

حلم 164

هذا بيت صديقتي الست "ح" وقالت لي ابنة أختها إنها عند الدكتور وأرادت أن تعد القهوة فأمسكت بيدها وجذبته إلى جانبي وأوحى لنا خلو المكان بما أوحى وإذا بالست "ح" تفاجئنا فتغير وجهها وقالت للفتاة ارجعي إلى أمك في الحال وحدجتني بنظرة حجرية وغادرت المكان وأمطرت السماء فأشفقت على الفتاة وغادرت البيت مستهيناً بكل شيء واخترقت المطر وأنا أناديها وبعد حين سمعت صوت الست "ح" يناديني وغرق ثلاثتنا تحت المطر.

حلم 165

قرأت في المجلة مقال نقد قاس لشخصي وأعمالي بقلم الأستاذ "ع" وإذا به يمثل أمامي معذراً ويقول إنه يقصد بالمقال أن يكون أساس حوار بيني وبينه يحدث ضجة تعيد الغائب إلى الوجود فقلت له: من يصدق هذا الحوار وأنت ميت منذ 15 سنة فقال إنه يعتمد على أن الأجيال الحديثة فاقدة الذاكرة.

فقلت له: إن المقال أحب إلى نفسي من الانفعال والخداع!

حلم 166

وجدتني في القطار ببلدة النور وكانت العرببة خالية فبث الخلو الرهبة في نفسي وتحسست محفظتي وناوشتني المخاوف وعند أول محطة أردت النزول فرأيت على رصيف المحطة رجالاً تنطق وجوههم بالشر والعدوان فتراجعت إلى مكاني وقد ازدادت مخاوفي وإذا بفتاة وسيمة تصعد إلى العرببة وتجلس غير بعيدة عني فسألته هل تحرش بها الرجال فأجابت بأنهم في غاية التهذيب والأدب فذهلت وساورني شك في أنها متآمرة معهم للإيقاع بي وذهبت إلى آخر العرببة متحفزاً للدفاع ووصل القطار إلى بلدة النور فغادرته إلى أول حديقة من حدائقه التي لا تحصى وهناك هفا على نسيم معطر بروائح الورد والقل والياسمين والحناء فتسلل إلى جفوني النعاس واستسلمت له متناسياً المحفظة والمخاوف ونمت نوما هادئاً عميقاً على أنغام موسيقى تأتي من الداخل.

حلم 167

هذه شركة إنتاج وهذا مديرها يخبرني بأن النص الذي قدمته قُبل وأن المخرج قرأه وهو راض عنه وإليك العقد والشيك غير أننا جعلنا النص قسمة فاسمك على القصة واسم الموزع على السيناريو واسمى على الحوار وذلك لصالح الفيلم من الناحية التجارية وقبلت ذلك على مضض وهنا دخل المخرج واطلع على العقد وصاح أين أنا في هذه القسمة فقال له المنتج يمكن أن تضع اسمك على القصة مع المؤلف فاجتاحني غضب وقلت أنا متنازل عن القصة كلها ولكن المدير قال لي إنهم يتعاملون مع الناس على أساس من مبادئ الأمانة والشرف وعليه فلا نقبل حذف اسمك.

حلم 168

هذه حجرة مدير المستخدمين وأنا واقف أمام مكتبه وأسأله كيف تتخطاني في الترقية والقانون معى مائة فى المائة فقال لى: أقم دعوة وستكسب القضية. وذهبت إلى مدير التحقيقات وقدمت شكوى ولكنه أقر عمل الإدارة ولكن أذهلنى أن وجهه نسخة دقيقة من وجه مدير المستخدمين وذهبت من فورى إلى المحامى وشرحت مشكلتى فوعدنى خيراً ودفعت مقدم الأتعاب ولكن ذهلت أيضاً أن وجهه نسخة أيضاً من وجه مدير المستخدمين ومدير التحقيقات وذهبت إلى الطبيب ففحصنى بدقة ولكن لاحظت أن وجهه نسخة طبق الأصل من سابقه وفى آخر النهار رجعت إلى بيتى وفى الطريق شعرت بجسم بارد يوضع على رقبتى وسمعت صوتاً يقول لى من وراء: النفود أو حياتك. فسلمته ما معى من نفود فأخذها وهرب ولما أفقت من اضطرابى سألت نفسى ترى أين سمعت هذا الصوت فمؤكد أنى لا أسمع له لأول مرة فأين ومتى سمعته؟!!

حلم 169

وقفت مع المدير العام الأجنبى نشاهد سير الزفة بين الزغاريد والطبول واصطحبني إلى حجرته فى الفندق وهو يتساءل عن هذه الضجة التى لاشك تؤذى النزلاء من السواح فقلت له: إنها تقاليد الزفاف المصرى وهى من الموارد الثابتة للفندق فقال إذن اشترط فى العقد ألا توجد ضجة فقلت: لا أستطيع، فقال غاضباً: هذا أمر عليك تنفيذه وذهبت من فورى إلى الإدارة المركزية وعرضت الأمر على المدير فقال إن هذا الرجل الأجنبى نفعا كثيراً بعلمه وتجربته فعليك الاتفاق معه أو إقناعه أو تقديم استقالتك ورجعت وأنا أفكر وأتساءل عن مصيرى؟!!

حلم 170

جددت البيت القديم الذى ولدت فيه ولما انتهى العمال ذهبوا إليه وتفقدت حجراته وتذكرت، ثم دخلت الشرفة ومن خصاص نوافذها رأيت ميدان بيت القاضى وقسم الجمالية وتوابعه والحنفية العمومية وأشجار دقن الباشا ثم سمعت ضجة فى الداخل فدخلت فرأيت زملاء الصبا الذين توفاهم الله يهرعون إلى فرحين ثم رددوا أناشيد الصبا الوطنية وإذا بضابط ومعه قوة من الجنود يقتحمون البيت فساد الصمت وسأل الرجل عن الذين كانوا يغنون فقلت ليس فى البيت سواى ففتشوا البيت ثم قادنونى إلى القسم وهناك وجهت إلى التهم بالتستر على مجرمين والتحريض على قلب نظام الحكم وقال لى المحامى فيما بعد: اطمئن فليس لديهم دليل واحد ولكنى لم أطمئن فرحت أتساءل عن مصيرى؟!!

حلم 171

فى هذا البهو يستريح الزملاء وقد جلست الاعب مدير مكتبى الدومينو وفاجأنا الوزير وأعلن أنه عين مدير مكتبى فى وظيفتى وأحالنى إلى المعاش وارتاع الزملاء وفكروا فى الأمر فاتفق الأمر بينهم أن هذا الأمر مخالف للقانون ولكنهم انقسموا بعد ذلك فرأت فئة الاتصال بالوزير بالحسنى ورأت الفئة الأخرى وجوب إقالة الوزير لاستهتاره بالقانون واشتد الجدل بينهم وانحدر إلى تبادل السباب والشتائم والضرب بالأيدى

والأرجل وقلت لهم إن سلوككم هذا قد قضى على قضيتي بالفشل فدفعوني حتى سقطت على وجهي وكان الوزير يتابع ما يحدث ويقهقه ضاحكا!

حلم 172

ذهبت إلى الحمام العمومي لأزيل عن جسدي وروحي ما علق بهما ودخلت في حجرة البخار ووقفت عاريا أنتظر من يدلكني ولكن دخلت فتاة وسيمة وتعرت عن مفاتها وراحت تدلكني برقة ورشاقة واستاء جميع من علم بذلك ولكني لم أبال وشكرت الحظ على نعمته!

حلم 173

سار معي موظفو مكتبي فرأيت أقبح مدينة في الوجود واقترحوا تحسين الشوارع والميادين وإنشاء الحدائق ولما اجتمعت بهم في مكتبي قلت لهم إن ما يهمني هو ما ينفع الناس مثل الصرف الصحي والصحة العامة وتوفير المدارس والمياه والكهرباء ثم دعوت الأعيان إلى تقديم ما يقترحون من تسهيلات لاستثمار أموالهم في البناء والتعمير!

حلم 174

قال لي صاحبي وهو يحاورني إن المصري بطبيعته فلاح أو حرفي أما التقدم في الإدارة والسياسة والعلم والحضارة فمرجعه إلى الأجانب أو المتمصرين فقلت: لا دخل للطبيعة في ذلك ولكن الأجانب والمتمصرين شاركوا في السلطة والمال ووجدوا الفراغ للإبداع وقد تغير الحال بمشاركة المصري في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي والثورة ضد الاحتلال البريطاني وتأييد عرابي وسعد زغلول وجمال عبد الناصر فأصبح يشارك في السلطة وتجلت إبداعاته في جميع مناحي الحياة!

حلم 175

رأيتني مدير قسم الأملاك بوزارة الأوقاف واكتشفت أن بعض السكان لا يدفعون الإيجار بالاتفاق مع بعض الموظفين فصممت على استرداد المال الضائع وتحويل المسؤولين إلى التحقيق، ولكنني وجدتني معزولا ومقدما للتحقيق بتهمة الإساءة إلى سمعة الوزارة وكانت معركة.

حلم 176

رأيتني ضابطاً مكلفاً بالقبض على الفنان "ي" والحق أني كنت معجباً به محباً له رغم احتقاري لإدمانه المخدرات ودعى الفنان لإحياء حفلة غنائية فذهبت إليها ولكنني أجلت القبض عليه حتى يتم غناؤه وراح هو يجود ويكرر:

أمانة يا رايح يمه

تبوس لي الحلو في فمه

وقل له عبدك المغرم ذليل

حلم 177

أقيم سرادق كبير للاحتفال بالحزب الجديد وظهر في المنصة الزعيم مصطفى النحاس واستقبل بالهتاف وألقى خطابا يشرح فيه مبادئ الحزب وفي مقدمتها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية ولما رجعنا إلى المكان الذي نجتمع فيه كل مساء قلت لهم إنتى لما رأيتم يهتفون ذكرتهم بفرحتهم يوم حريق القاهرة وإقالة وزارة النحاس فقال لى أحدهم إن تلك الفرحة هي خطيئتهم الكبرى وأنهم كفروا عنها في اجتماع اليوم.

حلم 178

صدر قرار بأن يتولى الوظائف الممتازة والعليا المصريون ممن ينتمون إلى أصول تركية أو مملوكية فوجدت نفسي في الشارع أسير على غير هدى حتى ناداني صديقي صاحب دكان الحلواني وعرض على أن أعمل كاتب حسابات في محله ولكن جاءنا صوت أبيه من مجلسه بركن المحل قائلا لا تدع العواطف الشخصية تفسد عملك فواصلت السير على غير هدى.

حلم 179

زارني المرحوم صديقي الحميم وسألني عن أسباب حزني فقلت له إن ضعف السمع والبصر حال بيني وبين مصادر الثقافة المقروءة والمسموعة والمرئية فمضى بي إلى دار نشر يديرها أحد زملائنا في الجامعة وسأله عن كتاب يجمع الأفكار الحديثة في العلم والفلسفة والأدب فجاءنا بكتاب ضخم ثم أهدانا طبعة أخيرة من القرآن الكريم قائلا إن التفسير الموجود به غير مسبوق فأخذناها وفي الطريق قال لى صديقي سأزورك كل مساء وأقرأ لك سورة من القرآن الكريم وفصلا من الكتاب حتى نختمهما فدعوت له قائلا: يرحمك الله ويسكنك فسيح جناته.

حلم 180

رأيت أستاذي الشيخ مصطفى عبد الرازق وهو شيخ الأزهر، وهو يهم بدخول الإدارة فسارعت إليه ومددت إليه يدي بالسلام فصحبني معه ورأيت في الداخل حديقة كبيرة جميلة فقال إنه هو الذي أمر بغرسها نصفها ورد بلدي والنصف الآخر ورد إفرنجي وهو يرجو أن يولد من الاثنين ورده جديدة كاملة في شكلها طيبة في شذاها.

حلم 181

قال صديقي وأستاذي وهو يودعني: رحلة طيبة وإن شاء الله تعثر على هدفك وسرت وانهالت على الخواطر الجميلة التي انعكس جمالها على روحى فحُثِّنَ قلوب المحسنين على فلم أشعر بحاجة إلى غذاء أو شراب أو لباس ولكنى لم أنس مدينتى طول الوقت وأخيراً رجعت إليها فسألنى صديقي وأستاذي هل وجدت هدفك فأجبتة سأجده هنا بين الآلام والأمال ولكن ببصيرتى الرحالة وبصبرى المقيم.

حلم 182

زارتنا "س" وهى زوجة صديق قديم وكانت يوماً خطيبتى وقالت لى: أنت السبب فى إفلاس زوجى فقلت لها أنه أطلعنى على فكرة وجدتها صالحة كأساس لفيلم سينمائى، ولكنه أبى إلا أن يكتب السيناريو وينتجها بثروته المحدودة مع جهله التام بكتابة السيناريو والإنتاج فكانت النتيجة الإفلاس، فقلت لى: كان يجب أن تتصحه، فقلت لها: نصحته كثيراً ولكنه أصر على الخطأ.

حلم 183

نحن موظفان فى مكتب الوزير ونتطلع إلى المزيد من القرب منه معتمدين على العمل، إضافة إلى أن زميلى يدس لى بما يسئ إلى سمعتى، ولكنى لم أقابل الشر بالشر إيماناً بأن القرب يقتضى النقاء، وبعد اعتماد الميزانية أصدر الوزير قرارين الأول بنقل زميلى إلى وظيفة أخرى بالوزارة، والآخر بتعيينى سكرتيراً برلمانياً للوزير وهو عمل يتيح لى مقابلة معاليه أكثر من مرة فى الأسبوع فأدركت أنه عليم بما يجرى فى مكتبه.

حلم 184

قرأت مقالة الكاتبة "ك" التى تتضمن نقداً لاذعاً لى ثم رأيتنى أسألهما فى النادي ألا تذكرين كيف وقفت إلى جانبك فى محنتك؟ فقالت: لا يمكن أن أنساها إذ كنت الوحيد الذى تصدى للدفاع عنى ضد هجمات النقد الشرسة على كتابى، ولكن بعد فترة هدوء وتأمل تبين لى أن النقد كان على حق، وأنى استعملت الجنس لأغراض تجارية ولكنك دافعت عنى لغرض فى نفسك نلت، فسقطت فى نظرى، فلقننى قولها درساً قاسياً!

حلم 185

هذه الإسكندرية واليوم وقفة العيد الصغير وأنا أتنقل من سمسار إلى سمسار فلم نعثر على حجرة خالية فقررت يائساً الرجوع إلى القاهرة، وفى محطة الرمل قابلت صديقى "أ" فلما علم بمشكلتى دعانى للنزول فى شقته حتى تنقضى أيام العيد وهى شقة فى شارع سعد زغلول وتقوم على نظافتها أم زينب، فقبلت دعوته وشكرته وقلت له إننى قابلته مصادفة ولكنها أسعد مصادفة فى حياتى، وتمر الأعوام حاملة عجائبها وعندما أخلو إلى نفسى أتذكر تلك المصادفة التى أثبتت الأيام أنها أتت مصادفة فى حياتى!

حلم 186

أراني أسير في جنازة صديق عزيز ورأيت بين المشيعين صديقي "ب" بعد غياب سنوات في الخارج
فسلمت عليه وهو واسع الثقافة غير أنه غريب الأطوار ومغرم بالحدائث في الفنون والحياة وسأله عن حرمه
التي كانت تماثله في كل شئ فأجابني بأنه طلقها وتوقفت الجنازة أمام المسجد وحُمل النعش إلى الداخل
للصلاة عليه ونودي للصلاة بين المشيعين وإذا بصديقي يدخل مع الداخلين فلم أصدق عيني وذهلت ذهولاً
شديداً!

حلم 187

عندما رأيت الأنسة "ب" خفق قلبي كما خفق عند أول حب وتابعتها أنهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان
ولا أزيد وأراني مع ابنة أختي وهي تسألني حتى متى تبقى أعزب يا خالي؟! ورشحت لي الأنسة "ب"
زميلتها في المعهد العالي فأيقنت أن وساطتها جاءت بعد اتفاق مع "ب" وأسعدني ذلك ولكنني شعرت بخوف
لا أدري كنهه ودفعني للهروب فغيرت طريقي مختفياً حتى سمعت أنها خطبت إلى شاب لائق وأراني واقفاً
أمام معرض مصور أشاهد الفتاة مع زوجها في ثوب العرس فرجعت إلى النهل من عذوبة الحب ولوعة
الحرمان ولكن في إطار من الأمان!

حلم 188

رأيتني أسير مع الشيخ زكريا أحمد نحو هضبة مغطاة بحمائل الأزهار وتقف في مركزها أم كلثوم ووفد
أهل الفن الحامولي وعثمان والمنيلوي وعبد الحى حلمي وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب ومنيرة المهدية
وفتحية أحمد وليلى مراد وغنت أم كلثوم قائلة سمعت صوتاً هائفاً في السحر وأخذت تكرره حتى ساد الفلق
بيننا ثم أخذ صوتها ينخفض رويدا رويدا حتى تلاشى وغنت منيرة المهدية قائلة:

ليلة ما جة في المنتزه يا دوب قعدنا والكأس في ايدينا هف طلع النهار.

وغنى سيد درويش:

زروني كل سنة مرة حرام الهجر بالمره.

وغنى الشيخ زكريا:

يا عشرة الماضي الجميل ياريت تعودى.

أما أنا فتلوت الفاتحة!

حلم 189

رأيتني وزيراً في وزارة يرأسها مصطفى النحاس وجعلت أفكر في مشروع إنشاء مدارس أولية وابتدائية
وثانوية بلا مصروفات ولا رسوم للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الفلاحين والعمال، على أن نتابعهم

بالرعاية في الجامعة والبعثات، وعرضت الموضوع على الزعيم فرحب به وأضاف إليه تعديلاً أن تخصص تلك المدارس للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الأمة كلها وطلب مني أن أقدم المشروع في مجلس الوزراء القادم ووعد بتأييده.

حلم 190

علمت أن صديقي "ج" معتصم بحجرتة ويهدد بالانتحار فانتقلت إلى بيته ووجدت إخوته وأخواته مجتمعين في الصالة الكبيرة وهو يطل عليهم من الشراعة في حجرتة العليا والحبل يطوق رقبتة فقلت له أنت مؤمن والمؤمن لا ينتحر فقال لي: لقد سدت النوافذ في وجهي إذا قلت لهم تحركوا لا يتحركون وأعلنت عن رغبتى في أن أموت شهيداً فمنعوني من الخروج فلم يبق لي إلا هذا فقلت لهم دعوه وشأنه فالاستشهاد خير مليون مرة من الانتحار.

حلم 191

قال لي الدكتور "م" إنه يرغب في الزواج من "ع" ولما كنت جارا لها وصديقاً لإخوتها فأنا خير من يحدثه عنها وأنا أحب "ع" بدون أدنى أمل فتماسكت وقلت له أما عن جمالها فقاطعني دع هذا فهو في متناول عيني وحدثني عن الأمور الأخرى فقلت له: إنها في كمالها لا تقل عن جمالها فقبلني في رأسي ووجدتني في بهو يموج بالكثير من رموز المجتمع وفيه غناء ورقص فسمعت وشاهدت وتوقع قلبي الضربة القاضية.

حلم 192

هذه حديقة الحربة التي تروى أزهارها بدموع العاشقين وأنا أتجول في جنباتها بين آهات الحب وهتاف المناضلين وقد عاهدت نفسي على أن أزود النسيان عن الحب والنضال.

حلم 193

هذه هضبة الأهرام وهذا هو سير ريذر هجارد فهرعت إليه ورحبت به وقلت له إنه كان فردوس طفولتي وصباي برواياته الفاتنة عن عائشة وكليوباترا وصلاح الدين وكنوز الملك سليمان، ثم سألته عن كنوز الملك ألها أصل في الواقع أم أنها من صنع الخيال وحده؟ فرأيتني أسير إلى جانبه في غابة إفريقية وفي موضع منها أخرج من جيبه مفتاحاً وانحنى حتى غاب في الحشائش وإذا بباب يفتح عن معرض طويل عريض ملئ بالجواهر وسقطت أشعة الشمس على سبائك الذهب فانعكست نوراً أضاء لي عالم الغيب.

حلم 194

من أمواج الضياء انبثق المرحوم صديقي "ط" فسلمت عليه وقلت له إنه مات فلا نشر له نعي أو أقيم له عزاء مناسب وجاء العمال وأقاموا السرادق ولكن لم يحضر أحد للعزاء ولا جاء المقرئ فصعد صديقي إلى أريكة وتلا بصوت عذب سورة الرحمن.

حلم 195

أعددت المائدة الصغيرة بما لذ وطاب ولما دقّ الجرس فتحت الباب اندفعت صديقتي إلى الكنبه، وما لبثت أن مأل رأسها على المسند واسترخت ذراعها فهرعت إليها وربت خديها وجسست راسيها ثم قلت بفرع يا إلهي إنها ميتة وتخايل لعيني شبح الفضيحة والجريمة ولكني حملتها بذراعي وسرت إلى المطبخ وألقيتها من النافذة المطلة على فناء المنزل ووقفت أرتجف من راسي إلى قدمي، وفي ضحي اليوم التالي وجدتني واقفاً مع بعض السكان وصاحب البيت يحدثنا عن الست التي نقلت إلى المستشفى فقلت إنها ميتة، فقال: كلا والطبيب قال لي: إن الأمل كبير في إنقاذها والنيابة تنتظر اللحظة المناسبة للتحقيق، فعاد يتخايل لعيني شبح الفضيحة والجريمة.

حلم 196

دعانا أستاذنا للغداء وبعد تناول الطعام جلسنا حوله نطرح الأسئلة ونناقش الأجوبة وإذا بالشرطة تفتح المنزل وتسوقنا إلى المعتقل، حيث مكثنا ستة أشهر دون محاكمة ثم أفرج عنا دون أن نعلم السبب الذي اعتقلنا من أجله وحتى اليوم كلما تذكرت عذاب المعتقل تساءلت عن السبب الذي من أجله اعتقلنا.

حلم 197

بيوتنا تقع على حافة الصحراء وكل بيت له فناء نضع فيه زيراً للمياه العذبة فيدخل العطشان يروى ظمأه ويدعونا. ويوماً اندست عصابة بين الداخلين وهاجمت بيتاً فقتلت وسرقت وهربت فأغلقت الأبواب ولكن علمنا أنهم يحفرون نفقاً للوصول إلينا وعند إحدى الحفريات تفجر ينبوع ماء وتدفق حتى غطى الصحراء وبشر بالخير العميم وهتف حكيم بيننا أن افتحوا الأبواب وانعموا بحسن الجوار.

حلم 198

كلفني المنتج السينمائي بكتابة قصة كوميدية فتصورت مدينة يكافح أهلها في سبيل لقمة العيش ويشقون بما بينهم من خصومات ويعانون الأمراض والحوادث ثم يجرى بعد ذلك زلزال مدمر فيقضى على البقية الباقية منهم ويمحو من الوجود ذكرياتهم فكأنهم لم يوجدوا فضحك المنتج وقال حقاً إنك فارس الكوميديا.

حلم 199

رأيتني أتجول في حديقة الحيوان مع صديقة ثم جلسنا في ركن خال بجزيرة الشاي وكلما ترامي إلينا زئير وخوار أو عواء ازددنا التصاقاً حتى دبنا ذوباناً!

حلم 200

قال لي صديقي "ص" إن قوانين الإصلاح الزراعي أصابت والده بانهيار في وعيه وهو يريد مقابلة وزير المالية وأنا اخترتك لتمثل دور الوزير بوصفك أعز أصدقائي ووجدت الإقطاعي الكبير في حال يرثى لها

واستقبلني قائلاً يا معالي الباشا هل حقاً ستصادرون أراضينا فنفيبت ذلك كلية وقلت له إن هي إلا ساعة

أطلقناها لكسب قلوب الناس وعندما خرجنا من السراى شكرنى صديقى وهو يجفف دموعه فقالت له مواسيا:
إن كل تقدم فى المجتمع يقتضى ثمناً ولا تنس أنك كنت من دعاة الاشتراكية فقال بحدة: إن الكتابة شىء
والتطبيق الفعلى شىء آخر.

حلم 201

ياله من بهو عظيم يتلأل نورا ويتألق زخارف وألواناً وجدتنى فيه مع إخوانى وأخواتى وأعمامى وأخوالى
وأبنائهم وبناتهم ثم جاء أصدقاء الجمالية وأصدقاء العباسية والحرافيش وراحوا يغنون ويضحكون حتى
بحت حناجرهم ويرقصون حتى كلت أقدامهم ويتحابون حتى ذابت قلوبهم والآن جميعهم يرقدون فى
مقابرهم مخلفين وراءهم صمتاً ونذيراً بالنسيان وسبحان من له الدوام.

حلم 202

تأبطت الجميلة الشابة ذراعى ووقفنا أمام بياع الكتب الذى يفرش الأرض بكتبه ورأيت كتبى التى تشغل
مساحة كبيرة وتناولت كتاباً وقلبت غلافه ففوجئت بأننى لم أجد سوى ورق أبيض فتناولت كتاباً آخر وهكذا
جميع الكتب لم يبق منها شىء واسترقت النظر إلى فتاتى فرأيتها تنظر إلى برشاء.

حلم 203

رأيتنى أقرأ كتاباً وإذا بسكارى رأس المسنة يرمون قواريرهم الفارغة فتطايرت شظايا وينذروننى بالويل
فجريت إلى أقرب قسم شرطة ولكنى وجدت الشرطة منهمكة فى حفظ الأمن العام فجريت إلى فتوة الحى
القديم وقبل أن أنتهى من شكواى هب هو ورجاله وانقضوا على الخمارة التى يشرب فيها المجرمون
وانهالوا عليهم بالعصى حتى استغاثوا بى.

حلم 204

رأيتنى مديراً لشئون السينما وجاءتنى الفنانة "ف" تطلب إعفاءها من العمل مع الممثل "أ" فانزعجت وقلت
لها إن هذا سيغير الخطة كلها، ولكنها أصرت على موقفها ثم جاءنى الممثل "أ" وطلب منى الضغط عليها
فاعتذرت، وراحت هى تقول للوسط الفنى إننى أضغط عليها لتعمل مع الممثل "أ" صديقى على رغم
إرادتها وراح يقول إننى سهلت لها التحرر من العمل لغرض فى نفسى فلعلنت اليوم الذى توليت فيه هذا
المنصب.

حلم 205

رأيتنى أشاهد دورية من الجنود الأجانب فضربت بها بحجر وصعدت إلى السطح وعبرت إلى سطح الجيران
وهبطت السلم لأهرب من باب البيت فوجدته مسدوداً بجنود شامرى السلاح.

حلم 206

رأيتنى أعد المائدة والمدعوون فى الحجرة المجاورة تأتيني أصواتهم أصوات أمى وإخواتى وأخوانى، وفى
الانتظار سرقتى النوم ثم صحت فاقدا الصبر فهرعت إلى الحجرة المجاورة لأدعوهم فوجدتها خالية تماماً

و غارقة في الصمت وأصابني الفزع دقيقة ثم استيقظت ذاكرتي فتذكرت أنهم جميعاً رحلوا إلى جوار ربهم
وأنتى شيعت جنازتهم واحداً بعد الآخر.

حلم 207

جلجل الهتاف بالانتخابات فسرت النشوة في قلب المطرب الشعبي وصاح مرشحاً نفسه فأقبلت عليه
ال جماهير حتى رفعوه على الأكتاف لنجاحه وطلبوا منه الكلمة فوقف على المنصة وعزف بالربابة وغنى:

حلو يا زين يا صعيدى

اسمك منقوش على إيدى

حلم 208

نجح الأستاذ "ل" في الانتخابات فذهب إلى أسرته وقال إنه لا يشرفه الانتماء لهؤلاء القوم وأنه ينوى
الاستقالة فقالت له سيدة: الاستقالة معناها العداوة وسوف ينگلون بك وبنا فافرح أو تظاهر بالفرح وألق
كلمتك فوقف "ل" على المنصة وقال: إن تاريخ مصر يظهر بظهوركم على المسرح وما قبل ذلك فظلام فى
ظلام.

حلم 209

وجدتني مع صديقي "ت" فى حجرة بالفندق واقتحمها علينا بعض الجنود وساقونا لنقف أمام ضابط أجنبى
الذى سأل صديقى: لماذا لم يجند؟ فأجاب: لأنه يرفض الحرب، فأمر بتجنيدى وقال لى: إلزم الحجرة فقد
تقتضى الظروف تجنيديك رغم شيخوختك!

خاتمة

... كأن كفا حانية لمست خلف كتفى اليمنى مساً رقيقاً أحاطنى حتى امتلأت به، لم أحاول أن ألتفت نحوها خشية
أن تتراجع، امتدت يدي اليسرى إلى كتفى الأيمن لأطمئن أننى لا أحلم، أرجعتها بسرعة حرصاً على استمرار
ما هو، الرضا يتسحب إلى يملؤنى أرحب وأعمق، تغمرنى نشوة مختلفه، أفرح بأننى لم أشعر بمثلها من قبل،
أجدنى فى الحجرة المعدة لذلك، لست متأكدا هل كانت حجرة مستديرة بلا جدران، أم كان فضاء دائرياً على
بساط أخضر يانع، ترتفع بى الأرض وهى تتمايل فى دلال، ابتعد عنها طائراً سابحاً راقصاً فى نور ليس كمثله
شئ، تحيطنى الأنغام وهى تزحف إلى أعماقى فى رقة حانية حتى صرت نغماً خالصاً، دون أن أختفى،

ثم إنى ...!! ما هذا ..؟

ما كل هذا؟ ما أجمل كل هذا..، بلا أول ولا آخر، ...ماذا.....؟

نعم؟؟!!

حاضر!